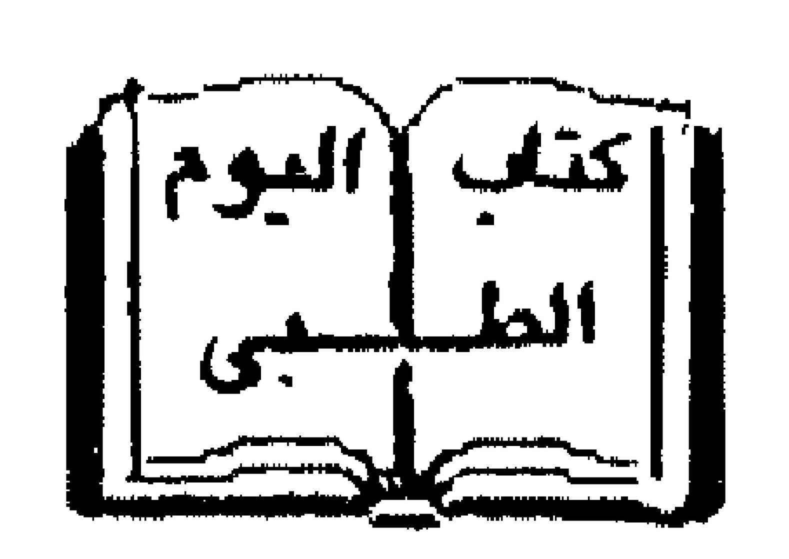
سلسلة كتاب اليوم الطبي
تصدر عن دار
أخبار اليوم

الزوج أول من يشكو .. !



الدكتور عادل صادق



أخبار اليوم

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير

د. رفعت كمال

الإشراف الفني والغلاف :

خالد فرحات



الزوج أول من يشكو

بقلم : د . عادل صادق

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دنار
المغرب	٢٥	درهم
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٥٠	فلس
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٦٠	ل.س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنت
ج. اليمنية	٣٥	ريال
الصومال نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الامارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
المانيا	١٠	مارك
ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا	٥٠٠	سنت
أمريكا	٥	دولار
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٠ دولارا

اتحاد البريد الأفريقى ٢٥ دولارا

أمريكيا أو ما يعادله

أوربا وأمريكا ٣٠ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور ●

● ترسل القيمة إلى الإشتراكات ●

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● تلكس : ٢٢٨٢ - ٢٠٣٢١ دولى ●

هذا الكتاب :

دعــوة للحفــاظ على الأســـرة

الأستاذ الـدكتور عـادل صـادق استاذ الطـب النفسـى بكلية الطب جـامعـة عين شمس لـديه القـدرة على أن يـرتفع بنـا الى سماء الامل والرومانسية والمثالية ، ثم يهبط بنا إلى أرض الواقع الجاف الصعب . وهو يفعل ذلك بـذكاء العالم ورهافة حس الأديب ، ليـدافع عن وجهة نظره فى عـلاقة الرجل بـالمرأة ، وفى فهمه لدور ومسئـولية كل منهما . وهو يؤمن ايمانا شديدا بـالزواج والاسرة . ويرى ان هناك شيئاً فوق الحب واعظم منه ، وهو المودة والرحمة .

وبذكـاء ومهارة واقتـدار ، وعن علم حقيقى وحس صـادق يختار كلماتـه التى تصيب الهدف مباشرة فتحـدث دويا هـائلا رغم نعومـة كلماته ورقتها .

هذا الكتـاب فى بعض مواضعـه متعة للعقل والقلب ، وفى مـواضع اخرى زلـزلة للجهـاز العصـبى . ومن هنـا تأتى خطـورة الكاتب والكتاب، . لانـه يدعـو الى شـىء هـام جدا وهـو الحفاظ على الأسرة فى زمن اللا أسرة .

المقـــدمة

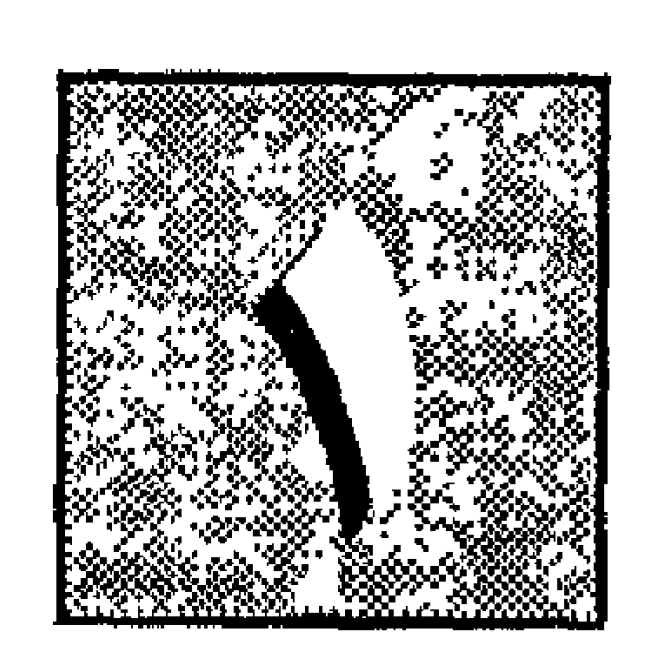
فى تقديرى أن الرجل يتحمل المسئولية الأولى فى الحفاظ على الأسرة واستمـرارها . فهـذا هو دوره وهـذه هى مسئـوليته التى تحتـاج إلى رجل حقيقى .والمرأة تحتـاج إلى رجل حقيقى . وهى تصطدم صـدمة عمـرها إذا اكتشفت نقصـا فى رجولـة الـرجل الذى اختـارته ليكـون شريك حيـاتها . والمرأة لايمكن أن تخضـع وتستسلم لرجل منقـوص الرجـولة. إن وداعـة المرأة ورقتها ورحمتهـا ومودتها وسماحتهـا لا تكـون إلا مع رجل حقيقى . إن الانـوثة لا تحركهـا إلا أصـابع وروح رجل حقيقى . ونفس هذه المرأة تتحـول إلى وحش كاسر مع رجل غير حقيقى .

والرجـولة الحقيقيـة ليست فى الفحولـة ، هكذا يظن بعض الـرجال الواهمين ، وبعض الرجال المغرورين النـرجسيين ، وهم بذلك يكذبون على انفسـهم . الرجولة سلوك انسانى أخلاقى ينبع من الوجدان أولا . .

وفى هذا الكتـاب اتعرض لنوعين من المشاكل التى تثـور بين الرجل والمرأة ويكـون السبب فيهـا اهتـزاز صـورة الـرجل عنـد المرأة .. وبالاحـرى اهتزاز صـورة الرجل عنـد نفسه . وتـدور الصراعات على المستوى الاعمق الـلاشعورى . يشكو الرجل ويعانـى . وقد لا تشكو المرأة ولكنها تعانى .

.. لهذا يتعـرض هذا الكتـاب لبعض مفاهيم الـرجولـة والانوثـة . والتى قـد يختلـف حـولها البعض . والاختـلافـات لها مصـادرهـا وأسبـابها التاريخيـة التراثيـة . ولهذا ليس من حقى ولا من حق أحـد يدعى أنه صاحب الكلمة الأصوب والأصح والأخيرة . ولابد أن نسمح لكل انسان بأن يدافع عن وجهة نظـره بحماس مادام صادقا وحسن النية ، خاصة إذا استند إلى الخلفية العلمية دون أن يتأثر إلى حد كبير بمشاكله الشخصية .

دكتور
عـادل صـادق
اغسطس ١٩٩٤



الرجل الأول

●● الرجل الأول هو ناظر المدرسة ورئيس مجلس إدارة المؤسسة أو الشركة ورئيس القسم بالجامعة وأيضاً هو رب الأسرة . والرجل الأول بمعنى المسئول الأول والمرجع الأخير .

●● والمكان يكتسب قيمته ومعناه وأهميته من شخصية الرجل الأول . ومستوى العمل وكفاءة الاداء تتوقف على أفكار ومواهب وإبداعات الرجل الأول . وكذلك القيم الأخلاقية والمبادىء التى تسود المكان والعمل وتتحكم فى المواقف والأحداث وتوجه الأمور تتوقف على قيم وأخلاق ومبادىء الرجل الأول .

●● والرجل الأول بمعنى آخر هو الروح التى تمنح الحياة وهو الفكر الذى يدير حركة الحياة وهو الإحساس الذى تنبض به الحياة ، وهو الإدراك الكلى الشامل والاستيعاب الأعمق والبصيرة النافذة

والرؤية الثاقبة والقوة المحركة .

●● وبمعانٍ أخرى هو الحماس والطموح والأمل ، وهو التخطيط والنظام والمتابعة . وهو المراقبة والحزم والعقاب والثواب .

●● وهو أيضاً الحسم .

●● وهو أيضاً المرونة والموضوعية والألتزام بالشورى ورأى الجماعة وصوت العقل والحكمة والحكماء .

●● وهو أيضاً ضمير المجموعة أو الجماعة التى يقودها . هو الحلم ، أى المستقبل . وهو الماضى بتراثه الأصيل .

●● أى أسرة فاشلة يكون ربها ، أى الزوج والأب ، رجلاً فاشلاً .

●● وأى مدرسة أو مؤسسة أو شركة أو جريدة فاشلة يكون رأسها وقائدها رجلا فاشلا .

●● ومن لم يكن مؤهلا للقيادة ، أى احتلال موقع الرجل الأول فليتنح ولايقدم لأن موقع الرجل الأول هو أهم موقع فى حياة البشر . وهو الدور الأهم . وهو المسئولية الأخطر . والحياة دور ومسئولية .

●● إن شخصية الرجل الأول تنطبع على كل أوجه الحياة وتنعكس بشكل مباشر على الحاضر وتشكل ملامح المستقبل .

● فإذا كان شخصية انحرافية فسيعم الفساد . والفساد يختلف حسب طبيعة المكان . فإذا كان المكان مدرسة و سيبرز أكثر المدرسين انحرافاً ويحتلون الصفوف الأولى وتسود قيم الانتهازية والنفاق والرياء والكذب ، ستنهار صورة المعلم وتتحدد مكانته بانتقال هذه القيم السيئة للطلاب . وستكون المدرسة بؤرة فساد لاتقدم لطلابها إلا النماذج الإنحرافية .

وإذا كان المكان مؤسسة أو شركة فستعم الرشوة وسيرتبط العمل بكل صنوف الانحراف المعروفة من غش وتدليس وخداع ونفاق .

أما إذا كان رب الأسرة منحرفاً فلابد أن تصيب عدوى الانحراف أسرته من زوجة وأبناء وبنات . فرب الأسرة هو زارع القيم وحارسها

وراعيها . وفاقد الشيء لا يعطيه . وإذا كان رب الدار بالدف ضاربا، فشيمة أهل البيت كلهم الرقص . فهو المثل الأعلى . وتسيبه وتساهله القيمى ينتقل إلى رعيته .

● ولابد أن يكون الرجل الأول حازماً . وأن يلجأ للعقاب إذا لزم الأمر . وأن يكون العقاب ملائماً ومناسباً للخطأ . وأن يكون فورياً فهذا هو معنى الحزم . وألا يتساهل فى مبدأ أو قيمة . وألا يتساهل فى إهمال أو عدم اتقان . وألا يتساهل فى خرق قانون أو قاعدة راسخة .

المتساهل والمتسيب والرخو والضعيف واللاهى والغافل ، كل هذه هى سمات الرجل الأول الخائب الذى يؤدى إلى تدهور العمل . وتدهور الأسرة وسهولة انهيارها الأخلاقى والاقلال من كفاءتها . تنخفض جودة الإنتاج فى الشركة . ينهار مستوى التعليم فى المدرسة . تكثر الأخطاء اللغوية والمطبعية فى الجريدة . إن أكبر سبب يؤدى إلى إهمال عامل أو موظف فى عمله هو تساهل وتسيب وغفلة الرجل الأول. غياب الحزم هو السبب الرئيسى لتدهور أى عمل وأيضاً تدهور الأسرة . وهذا هو رب الأسرة الضعيف المتساهل المتسيب الغافل الذى لايواجه الأمور بحزم والذى لايقف فى وجه أى خطأ والذى ليست له القدرة على العقاب .

● ولابد للرجل الأول أن يمتلك من المقومات الشخصية مايتيح له فرصة السيطرة والقيادة . والسيطرة لابد أن تكون فكرية . أى أن تكون قوته فى عقله . ذكائه . علمه . ثقافته . معلوماته . إحاطته بالأمور . قوة منطقه . حكمته . موضوعيته . إذا كان هناك من يفوقه فى هذه الأمور فسيتغلب عليه . سيفلت زمام الأمور من يديه . سيفقد هيبته . سيقفز آخرون إلى موقع اتخاذ القرار وتسيير الأمور .أى سيحدث خلل فى النظام وستعم الفوضى . وإذا حدث مثل هذا الخلل فى الأسرة فستصبح لا أسرة ، أى ستفقد مقومات الأسرة . ستصبح أى شيء آخر إلا أن تكون أسرة . الأسرة نسق متكامل له شكله

ونظامه وأصوله وقواعده وتراثه . وهذا النسق يقتضى أن يكون رجلها الأول ، أى الزوج والأب ، قويا فكرياً لكى يمسك بزمام الأمور ويقود الأسرة . إذا تراجع عن هذا الموقع بفعل ضعفه الفكرى فسيحدث خلل فى ميزان القوى داخل الأسرة وبذلك ينهار النسق السوى للأسرة .

● ولابد أن يكون مستقبلى النظرة . موهوبا مبدعاً . ليأتى بالجديد ليطور ويضيف . وبذلك تتحرك الحياة . تموت الشركات والمؤسسات والمصانع إذا تجمدت . وحين تتجمد فإنها تلفظ أول ما تلفظ رجلها الأول غير الموهوب المحدود الكفاءة العاطل ذهنياً المتجمد إبداعياً . وهذا هو مايحدث فى الأسرة إذا كان رجلها الأول خاملاً محدود الأفق . إذ لابد أن يكون رجل الأسرة الأول صاحب مبادآت ومولداً لأفكار جديدة وبذلك يظل باعثاً للروح والحياة والحركة والنشاط .

● ولابد أن يكون الرجل الأول صادق الأحساس ، ملهماً بعاطفته، كبيراً فى قلبه ليستطيع أن يحتوى بالحب من هم مسئولون منه . القيادة هى أيضاً مشاعر دافئة عميقة مشعة . وحين يكون الرجل الأول بارد الاحساس مسطح العاطفة معطل الوجدان فاقداً لموهبة الالهام والحدس والحس الباطنى فإنه يبعث بالبرودة فى جميع أوصال من يعملون معه ويصيبهم تدريجاً الخمول والبلادة ثم اللامبلاة . أحد الاسباب الهامة للامبلاه فى الشعوب والجماعات والأفراد هو البلادة العاطفية للرجل الأول .

وإذا كان رب الأسرة بليداً عاطفياً فإن الكيان الأسرى يتفكك . إن أحددواعى الترابط الأسرى هو طاقة الحب التى يبعثها الرجل الأول، أى الزوج والأب من وجدانه . الجليد العاطفى هو أحد أهم أسباب انهيار الأسرة . وهذه هى مسئولية الرجل الأول .

● والرجل الأول هو رجل الأزمات والكوارث والمواقف الصعبة .

وهـذا يتطلب نضجاً وخبرة . يتطلب جهـازا نفسيا وعصبيـا سليما .. يتطلب ثباتـا إنفعاليا . وربما أيضاً مـوهبة وقدرة خاصـة . الانفعال الحاد والثورة العـارمة والغضب الشـديد هى مـن سمات الشخصية للـرجل الأول المهـزوز . وأيضاً التقلـب والتذبـذب الأنفعـالى هما من سمات الانسان الذى لايستطيع أن يقود المسـيرة بثـبات وطمأنينة وثقة .

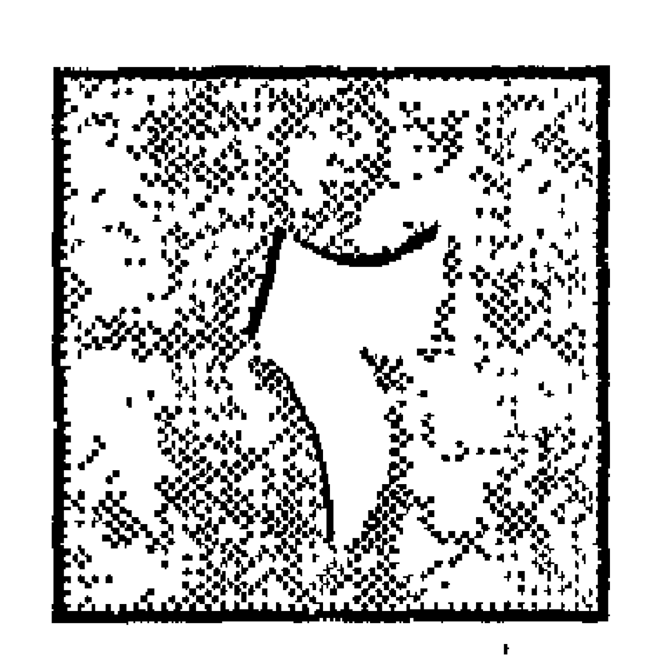
فإذا كـان رب الأسرة سريع الغضب حـاد الانفعـال ، وإذا كـان انفعاله لايتناسب مع حجم الموقف فإنه سيفقد دوره الحقيقى كرجل أول، لأنه سيكون بـاعثاً على مشاعر الخوف والقلـق وعدم القدرة على التوقع والتنبؤ وعدم الوثوق با لمستقبل وعدم الاحساس بالطمأنينة .

● وآخـر سمات شخصيـة الـرجل الأول وإن كـان من الممكن أن تأتى فى المقدمة هى الصدق . وإلا فقد مصداقيته تماماً .

●●●

●● الحياة لايمكن أن تقـوم إلا على أكتاف الـرجل الأول . الحياة الصـحيحة الحقيقيـة المثمـرة المنتجـة والتـى تمنح الانـسان سـعاده وأمناً .

●● ومن الممكن أن تقفـز المرأة لتحتل مكـان الـرجل الأول فى الأسرة . هـذا ممكن وجـائز وقـابل للحـدوث . ولكن حينئـذ سنكـون بصدد نسق آخر غير الأسرة التى عرفناها تراثياً ..



اللارجل..

●● قد تحب المرأة رجلاً بسيطاً لايثير إعجاب كثير من الناس.. ولكنها هى الوحيدة التى ترى مواطن جماله الحقيقية.

●● وقد تحب المرأة رجلاً يجمع كل الناس على أنه شرير. ولكنها هى الوحيدة التى تستطيع أن ترى إمكانية الخير داخله ، أى أنه مؤهل للخير.

●● ولكن المرأة لاتحب الرجل الكاذب ، ولا تحب الرجل الأنانى ولا تحب الرجل البخيل . ولاتحب الرجل النرجسى. ولاتحب الرجل الحسود الحقود. ولاتحب الرجل العدوانى. ولاتحب الرجل المغرور المتكبر المتعالى. وكلها صفات مترابطة إن وجدت إحداها وجدت بقية الصفات الأخرى فى نفس الرجل.

●● وتشعر المرأة بمرارة إذا أوقعها حظها العاثر فى رجل يحمل هذه الصفات . وتدرك أنها فقدت حياتها. وإما تفر وإما تتحمل على مضض. وتدريجاً تفقد أحاسيسها نحو الرجل. يصير فى عينيها لارجل. ويظن هو فى نفسه أنه الرجل. وهذه هى المشكلة فهو لأنه لارجل فى نظرها فهى لاتتوقع منه شيئا ولاتستجيب له. ولأنه يتصور أنه الرجل فهو يتوقع منها كامل استجابة الأنثى.

●● المرأة حلم حياتها أن تلتقى بالرجل الإنسان. تلتقطه من بين ملايين. هذا هو الذى يثير عواطفها وبالتالى يحرك مشاعرها الأنثوية فتنجذب إليه وتستميت فى الارتباط به والحفاظ عليه. هذا هو الحس الداخلى للأنثى. وبلغة العصر هذا هو ردار الأنثى الذكى المتحرك فى كل اتجاه دون أن يبدو عليها. تستوى فى ذلك العاملة المثقفة مع البسيطة الجاهلة. الأنثى هى الأنثى.

●● ولكن ما إن تشعر أن حسها الداخلى قد خانها وأن رادارها قد أخطأ حتى يسقط قلبها منها وذلك حين تصطدم بكذبه وبخله وغروره ونرجسيته. ما إن تكتشف صفة واحدة من هذه الصفات حتى تتأكد أن بقية الصفات موجودة فى نفس الشخص. هنا يتراجع بسرعة إحساسها بإنسانيته ومن ثم يتراجع إحساسها برجولته.

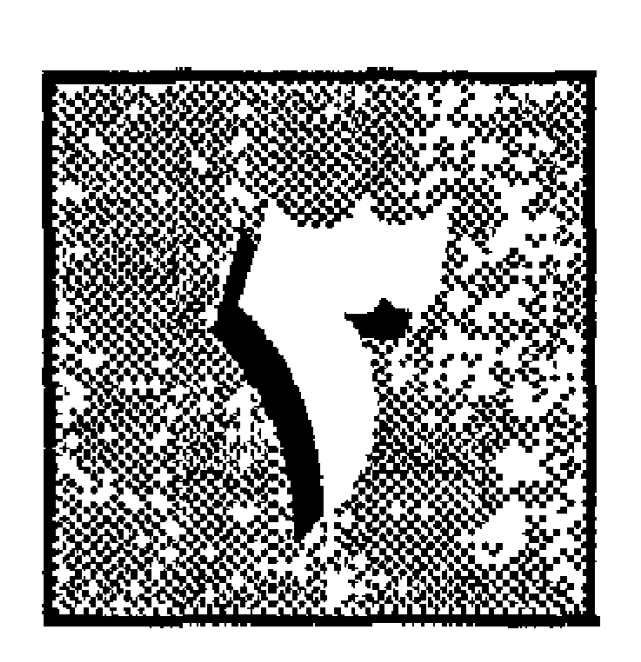
●● وإذا بخضوع المرأة المعروف عنها حينما تحب يتحول إلى رفض وعناد وعدوانية وتحد وقدرة هائلة على الاستفزاز يقشعر بدنها إذا لمسها. وتثور معدتها إذا اقترب منها. وتتقلص عضلاتها. إذا جاء بجانبها. وتفقد الإحساس تماماً.

●● وتتعقد المشاكل. وقد لاتدرى أنها لاتحبه. وقد لاتدرى لماذا لاتحبه. ولكن تدرى فقط أنها مستفزة منه. وأنها تستريح نسبياً إذا استفزته. وهو لايعرف سبباً لهذه المشاكل المستمرة والمضنية. لأنه لايعرف أنها لاتحبه. فهو يعتقد أنه مؤهل لان تحبه أى امرأة فهذا هو

شأن الذى يكذب ، لأنه يكذب أولاً على نفسه. وهذا هو شأن المغرور والنرجسى .

●● والمرأة معذورة لأن هذه الصفات إن وجدت تتناقض مع الرجولة الحقة. فالكاذب ضعيف. والمغرور لديه نقص شديد فى إحساسه بذاته. والنرجسى ليس لديه مساحة حب وعطف الآخرين. وهذه الصفات لابد أن ينجم عنها صفة أخرى وهى العدوانية لتعويض مشاعر الضعف والنقص والجمود الوجدانى.

●● معذورة المرأة لانها تفقد الإحساس برجولة الرجل حيث يصبح فى عينيها وفى قاع وجدانها وبيقين تفكيرها.. لارجل.



زوج بـــلا مواهـــــب ..

●●قد يكـون الرجل محدوداً جـداً فى إمكانياتـه وقدرتـه . أى بلا مواهب . لاشىء يميزه . لايلفت الأنظار ولاتستدير ناحيته الرؤوس .

● لايتمتع بأى وسـامـة ، أى متـواضـع جـداً فى شكلـه الخارجى وجهاً وجسداً .

● متواضع فى مظهره . ثيابه بسيطة . وربما غير متناسقة بعضـها البعض

● متـواضـع فى درجـة تعليمه . وبـالتـالى فى مكـانته الـوظيفيـة . لايتمتع بطموح كبير . غير براق وغير لامع فى مـوقعه . ولكنه واحد من ضمن ملايين القوى العاملة .

● وهو متـواضـع أيضـا فى درجـة ذكائه . من الممكن أن نقـول إنه متـوسط الذكـاء . ومتـوسطو الـذكـاء يمثلون ٦٠٪ من مجمـوع أى

شعب. وهذا الذكاء المتوسط لم يتح له فرص الوثوب اجتماعياً ووظيفياً . وهذا الذكاء المتوسط لم يتح له فرص اغتنام الفرص أو خلق الفرص ، ولم يتح له أن يتنبه إلى الوسائل العصرية أو مقتضيات العصر الممكنة التى تتيح لمن يتنبه إليها أن يُحسن من نفسه وأن يرقى وأن يرتفع وأن يتطور .

● ولكل ماسبق فهو محدود فى إمكانياته المادية . فهو لم يرث عن أسرته أى شىء . فهو من أسرة متوسطة الحال جداً . ولم يهتم كثيراً فى أى وقت من الأوقات أن يجمع مالاً . لم يبحث عن الطرق والوسائل لم يكن من أحلامه أن يصير غنياً . لم يجر ريقه على الأشياء الثمينة فى الحياة . ولم يؤرقه أن يمتلك الآخرون مثل هذه الأشياء الثمينة .

● ولم يكن يمتلك أى موهبة خارقة أو خبرة وبالتالى لم يستطع أن يكون بطلاً رياضياً أو عالماً أو موسيقياً أو ، كاتباً مؤلفاً أو ممثلاً ، كان إنسانا عاديا جداً .

● وإذا أردنا باختصار أن نعطيه درجة فى السلم الاجتماعى الوظيفى المادى الشكلى فإنه لايزيد على ٥ / ١٠ أو٦ / ١٠ .

● كان انطوائيا . ولكن كان له عالمه الداخلى . فلديه شعور عميق بالأشياء من حوله ولكن يتجاوب وجدانياً بالقدر الكافى والملائم من فرح وحزن وألم وشفقة وعطف وأسى وندم . شعر بحزن هائل يوم مات أبوه . ويوم مات عمه . فقد شهيته للطعام واضطرب نومه مالا يقل عن أربعين يوماً . وشعر بنفس الحزن يوم مات ابن جاره فى حادث . بل ربما كان أكثر حزناً من جاره صاحب المصيبة ذاتها . واستمر حزنه وقتاً طويلاً . وشعر بفرح طاغ يوم انتصار فريق الكرة المصرى على منافسه فى مباراة دولية . ليلتها لم ينم من شدة الإثارة . وشعر أيضا بفرح هادىء يوم تصالح جاران فى نفس البيت الذى يعيش فيه خصام طويل . وسر خاطره حين علم أن شقيقه الأصغر استطاع أن يشترى سيارة بعد عودته من الإعارة .

وكان يتألم بصمت حين كان رئيسه يتجاهله فى المكافآت والحوافز ويقلل من درجته فى التقارير السرية . وكان يتألم أكثر حين يصدر تصرف خبيث من أحد زملائه يقصد به الدس والوقيعة والاساءة . ولم يكن يرد على هذه الاساءات لأنه كان قد وصل إلى اقتناع أنه لاجدوى ولافائدة . وإن أحداً لايتغير . وكان يدعو لهم أحياناً بالهداية والمغفرة .

● أما أعظم المشاعر فقد كان يحملها لأسرته وخاصة أنه العجوز المريض والتى كانت تعيش معه بعد وفاة أبيه . كان يسهر على رعايتها لاينام قبل أن يطمئن لنومها ولايأكل إلا بعد أن يطعمها ولايشترى لنفسه أى دواء أمر به طبيب إلا بعد أن يشترى كل أدوية أمه التى تحتاجها شهرياً بشكل منتظم . وكان لايشترى لنفسه أى ملابس وخاصة فى الشتاء إلا بعد أن يطمئن أن أمه تنعم بالدفء الكامل . وكان يفعل نفس الأشياء تقريباً مع شقيقته التى تزوجت من رجل رقيق الحال يصنف مع المعدمين ، ولذلك كانت أسرة شقيقته معرضة دائما لأزمات اقتصادية طاحنة وخاصة حين يمرض أحد أبنائها .. ولذلك لم يكن يتبقى معه من مرتبه الشهرى إلا مبلغ ضئيل جداً كان يحرص على توفيره تحسباً لأى أزمات مفاجئة . وخاصة أنه كان يكره جداً أن يضطر للأقتراض وكانت فكرة الاقتراض تزعجه جداً أن يضطر للاقتراض ، كان دائم الدعاء بالستر .

● ورغم ميله المعتدل الذى يتناسب مع شبابه ناحية الجنس الآخر إلا أنه كان يغض البصر فى كل موقف وخاصة فيما يتعلق بجيرانه وزميلاته فى العمل . كان يعرف كيف يكبح جماح رغباته وكان يتغلب على مثل هذه الأحاسيس بالاكثار من الصلاة والصوم .

● إلا أن فكرة الزواج كانت تشغل باله فى كل وقت . حنين غريب لأن يتزوج وأن يعيش مع امرأة هى زوجته وأن ينجب منها بنات وصبيانا وأن يكون مسئولا عن هذه الأسرة ، لم يكن حنيناً للمرأة

وإنما حنين للـزوجـــة . ولم يكن حنينـاً للجنس . حنينـــا للسكنى إلى زوجــه . حنيناً لتبــادل الـرحمة والمودة مع امرأة صـــالحة . وأدرك أن مشاعره هذه نظرية . شعر أنه خُلق ليعيش مع أسرة . زوجة وأطفال . شعر أن هذا هــو حلم حياته . لم يطمع فى مركـز أو جاه أو سلطان أو مال . لم يعـر هذه الأشيـاء أى أهتمام ولم يكن يـرى أنها تساوى أى شىء . بل كـان يعتقـد اعتقـادا راسخاً أنها أشيـاء لاقيمـة لها . أمـا مايساوى حقاً ، أما الذى له قيمة كبيرة فهو أن يكون للأنسان أسرة .

● وكانت شروطـه فى الزوجة مقـاربة أو مطابقـة لأى إنسان . إذا كان يتمنـى أن تشعر بقيمـة وأهمية الـزواج والأسرة . وأن تحبه وأن تقدر مشـاعره . وأن تكـون نعم السكن . وأن تبادلـه المودة والرحمة وأن يتعاونـا معا ويتشاورا ، فى الحلـوة والمرة . وأن تكون طيبـة وهذا معنى يشتمل على أشيـاء كثيرة فى نظـره . وأن تكـون عـارفـة بـربها مصليـة صائمـة مـزكية . وهـذا فى تقديـره يعنى أن تكـون فاضلـة ويضمن أن تكون مخلصة . ولكن أهم شروطـه فى الحقيقة هو أن تقبل أمه وترعاها وترحمها .

●● ومقـابل ذلك كـان يتعهد أمــام الله أن يكـون هو أيضـاً نعم الزوج حبـاً وعطفاً وحنـاناً ومسـاندة ومشـاركة واحترامـاً وسماحة وتحملاً للمسئولية وإخلاصاً لها مدى الحياة .

●● ولكن العين بصيرة واليد قصيرة .

●● وتقدم به العمر قليلاً حتى استطـاع أن يجمع مبلغا متواضعا من المال .

●● وبدأ فى اتخاذ الخطـوات العملية الفعليـة . وكانت البـداية أن ينشرح صدره لفتاة . ليس لجمالها وإنما انشراح ربـانى نورانى مثلما يدعـو الانسان ربـه أن يشرح صدره . انـه احساس شـامل بالـرضا والسرور والقبـول والاقبال والحماس . ثم بعـد ذلك يطمئن إلى أهلهـا وخلقها . ثم يتوكل على الله ويأتى البيوت من أبوابـها .

●● ورفض فى مرتين . واهتزت ثقته بنفسه . وأصابه بعض اليأس . وكف عن البحث . وطرح حلمه جانباً . وظن أنه لن تقبله فتاة فى ظل ظروفه المحدودة شكلاً وموضوعاً .

●● والحقيقة لابد أن نوضحها أنه لم يكن النموذج الذى يعجب أى فتاة ، فهو محدود فى كل شىء . ولم يكن أحد يعرف أى شىء عن عالمه الداخلى . وعن عالمه الخاص ، فقط الناس يعرفونه بصورته الظاهرية . وهى صورة فقيرة متواضعة .

●● حتى أرسل الله من السماء فتاة جديدة لتعمل فى نفس مكان عمله . وكان بينهما تعامل ما يقتضيه العمل . وإذا به يجد - ولأول مرة فى حياته - أن هذه الفتاة تتحرك ناحيته . هكذا أخبره إحساسه الداخلى . واندهش . فقد كان يعرف قدر نفسه . أو عرف قدر نفسه أخيراً وأنه من المستحيل أن يثير انتباه أى فتاة . ولكن هذه الفتاة إنجذبت إليه بشدة . بالرغم من أنها كانت على مستوى معقول من الجمال والمظهر والذكاء والكفاءة . ومن الممكن أن تشد انتباه أى شاب يفوقه فى أشياء كثيرة .

●● أى شىء شدها إليه !! أى سر فيه !! أى موهبة خفية !! أى جمال دفين !! أى إمكانيات مخزونة ، أى طاقات ، منه !!

●● وانشرح صدره . وتجرأ . وطرق الباب . وقالت له هذا أسعد يوم فى حياتى ..

●● وبعد سنوات من زواج سعيد تجرأ للمرة الثانية وسألها أى شىء أعجبك فىَّ ؟؟

●● قالت : كل شىء لقد استطعت أن أرى الانسان داخلك . استطعت أن أصل إلى جوهرك . استطعت أن انفذ إلى روحك . أستطعت أن أصل إلى أعمق أعماق ذاتك وأن ألمس جوهر وعيك . وأحسست أنك أيضا استطعت أن تصل وتنفذ إلى جوهرى وأن تلمس ذاتى وأن تحيط بروحى . حدث انكشاف جوهر كل منهما للآخر .

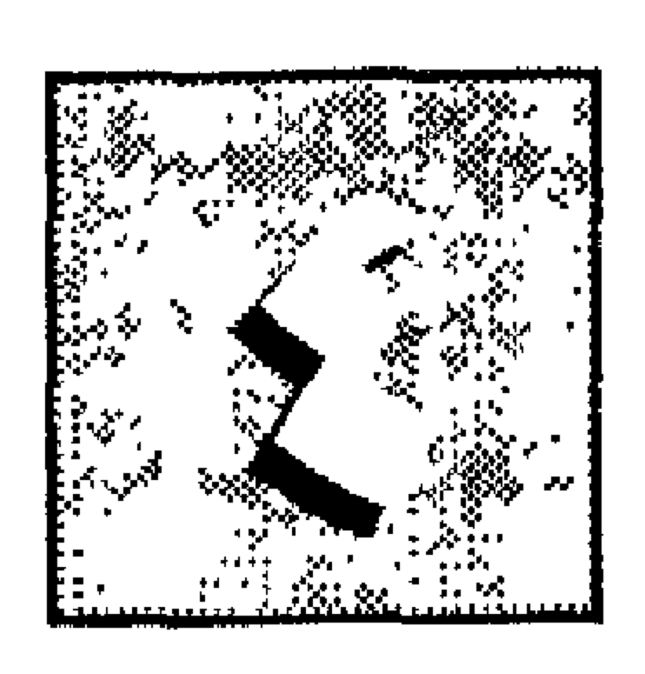
فتحولت فى عينى إلى كيان نورى يفيض بالجمال والخير والبركة . فأحسست بالطمأنينة . وأكدت الأيام صدق أحاسيسى . فوثقت بك . وأدركت صدقك . وشغفت بك . وتمنيت أن أكون زوجة لك وأن تكون زوجاً لى . تمنيت أن تسكن عندى وأن أمنحك حبى . مودتى .رحمتى أن أعطيك أن أرعاك . فأنت تستحق .

●● ومع الزواج من هذه الأنسانة الصالحة تكشفت قدرات طيبة لهذا الرجل الصالح . فتحمل مسئولية الحياة بجدية وإخلاص . كان راعياً أميناً وشريفاً وكان كريماً . وكان مخلصاً . وكان أيضاً حازماً فى توجيه زوجته والحفاظ عليها وحمايتها .

●● ورغم قسوة الحياة وصعوبتها لم يضعف فقط . لم يمد يده إلى القرش الحرام . كافح بشرف وعناء . وبارك الله فى القليل . وكانت الزوجة راضية قنوعاً .

●● ومنحها حباً لم تكن تحلم به من أعظم مؤلفى الروايات العاطفية . وكان حبه هو حنانا مكثفا وعطفا زائداً واحتواء شديدا هكذا لفطرته وعفويته وشغفه بها وميله الطاغى اليها واحترامها وتقديرها والأحساس بروعتها فى كل شىء .

●● عاش الحياة بحلوها ومرها . وأنجبا صبياناً وبنات . وواجها صعوبات كثيرة وأزمات طاحنة . ولكن إجمالاً سعدا بحياتهما . وتحقق حلم كل منهما . حلم الاسرة . وهو حلم كل إنسان نقى . حتى وإن كان بلا مواهب .



رجل ضعيف وامرأة قوية

يشكو رجل من أن زوجته عنيفة ، حادة ، عصبية عنيدة ، متسلطة. وقد يكون أكثر تحديداً فيقول إنها تريد أن تمارس دور الرجل فى البيت . ولا أحد يعرف هل هو يشكو من قوة زوجته أم من ضعفه هو ؟ وهل ضعفه نتيجة لقوة زوجته أم أن قوة زوجته هى نتيجة لضعفه هو ؟ هل هو صراع بين قوتين ؟ وأين تكمن هذه القوة .؟ هل هى قوة الشخصية .. ؟ وهل هناك ما يسمى بقوة الشخصية ..؟ أم هو الفرق فى القدرات الذكائية حيث تتفوق زوجته عليه فى الذكاء ..؟

●● الرجل يشكو ويتألم لأن المفروض شىء والواقع شىء آخر . والمفروض أنه هو الذى يجب أن يقود ويحكم ويسيطر ، وأن كلمته

يجب أن تطاع وأن الزوجة يجب أن تكون خاضعه مطيعة مستسلمة .

●● وتضطرب الحياة الزوجية اضطراباً شديداً . ولكنها تستمر . وتزداد الزوجة سيطرة وتسلطاً ويزداد الزوج ضعفاً ورضوخاً .

●● وهـذا نموزج أسرى نـراه فى الحياة . ربما ليس كثيراً ولكنـه موجود .

●● ولاصراع يبـدأ منـذ اللحظة الأولى فى العـلاقـة . وهـو صراع طبيعى ويتم بشكل تلقـائى . صراع بين شخصيتين وصراع بين عقلين يتمتع كل منهما بدرجـة معينة من الذكاء . يبـدأ الصراع فى قمته حيث الخوف والقلق والتوقع والترقب والتحفـز والتحسب صراع بين قوتين عليهما أن تذوبا وتتحدا وتتـوحدا وفى نفس الوقت يحب كل منهما أن يحتفظ بتفرده واستقلاليته وحريته وإرادته .

●● والأمـور منـذ البدايـة تسير بشكل طبيعى وتلقـائى . أى لا يستطيع أحدهما أن يخطط . فالانسان وهـو يؤدى دوره الذكرى أو دوره الأنثوى لا يكـون مدركـاً أنه يـؤدى هذا الـدور . فالطبيعـة أو التكوين يملى بعض جوانب هذا الـدور . وكذلك طبيعة البيئة والمجتمع والثقافة السائدة تملى أيضاً بعض جوانب آخرى لهذا الدور .

●● وفى كل المخلـوقـات هنـاك ذكـر وأنثى . والتكـوين الشكلى الخارجى وكـذلـك التكـوين الـداخلى لكل منهما يختلـف عن الآخـر . وأيضاً سلوكياً يختلف كل منها عـن الآخر . ولذلك فإن تعدى أحدهما على الآخـر يؤدى إلى خلل فى العـلاقـه . والتعدى بمعنى التعـدى على الدور والانتقاص من دور الطرف الآخر . وهـذا يزعج الرجل جداً على وجـه الخصـوص حيث يشعـر أن المرأة القـويـة تنتقص من دوره الرجولى .

●●والحقيقة أن المسئـولية قد تقع على عـاتق الرجل فى البـداية . فهـو الذى يحدد للمـرأة حـدود دورها . فـا لمرأة إذا وجـدت أمامهـا

مساحات مفتوحة بلاحدود فإنها توغل فيها ، فهى لاتعرف حدوداً تقف عندها وذلك لتقاعس الزوج عن تأدية دوره إما لعيوب فى شخصيته وإما لتواضع فى ذكائه بالنسبة لزوجته التى تفوقه ذكاءً . وإما لنقائص معينة يشعر بها تجعل المرأة أكثر تفوقاً فى الناحية الاجتماعية أو الثقافية أو التعليمية أو الاقتصادية أو كل هذه الأشياء مجتمعة .

●● إذن هو صراع بين قوتين ، ومنذ البداية ليحدد كل منهما الحدود . والرجل يتحمل المسئولية الأولى . إذ المرأة فى البداية ترقب وتلاحظ وتختبر . كل ذلك بفطرتها . وأى حق يتنازل عنه الرجل تكسبه هى . وأى مساحة يتركها الرجل تقفز إليها . أى يتنامى دور الزوجة على حساب تراجع دور الزوج . حتى نصل إلى مرحلة الخلل الشديد . والرجل يشكو ويتألم ولكنه عاجز . والعجز ينبع من داخله. وكذلك المرأة تكون غير راضية لأن ذلك يتنافى مع الطبيعة الأنثوية الخالصة . فهى غير سعيدة بقوتها التى نشأت على حساب ضعف زوجها . فهى لاتحب لزوجها أن يكون ضعيفاً ولاتحب لنفسها أن تكون قوية على حساب ضعف زوجها .

●● والحقيقة أن القضية ليست ضعفاً وقوة وإنما هى أدوار ومسئوليات وحدود ومساحات . والقوة بمعنى التعدى على حدود الدور الآخر . والضعف بمعنى الانسحاب من الحدود الطبيعية للدور والسماح للطرف الآخر بالتجاوز .

●● إذن الرجل غير سعيد بضعفه .

●● والمرأة غير سعيدة بقوتها .

●● وهذه ظروف غير صحية لتنشئة الأولاد والبنات حيث يحدث تشوش فى أذهانهم لدور كل منهم فى الحياة . ويكون الزوج نموذجاً فاشلاً للتوحد الذكرى وتكون المرأة ،أى الزوجة، نموذجاً فاشلاً للتوحد الأنثوى .

●● وكما أن الرجل هو المسئول الأول عن هذا النموذج الأسرى الفاشل فإن المرأة أيضاً قد تكون هى المسئولة الأولى فى بعض الأحيان. إن هناك شخصية تتميز بالصلابة والعند وعدم المرونة وروح التحدى وحب السلطة والتسلط ، وخاصة إزاء الرجل. هذا تكوين خاص . وربما هو تكوين أقرب إلى الطبيعة الذكرية . وهذا أمر يمكن تصوره من الناحية العلمية حيث يحدث خلل ما غير معروف حتى الآن فتولد فتاة بتكوين أنثوى فسيولوجى هو رمونى كامل وتنمو كامرأة كاملة ولكنها تحمل فى طياتها ــ نفساً وعقلاً وإحساساً ــ تكوين رجل . فهى امرأة من الناحية الشكلية الفسيولوجية وهى رجل من الناحية النفسية العقلية . هذه المرأة تشعر بمرارة شديدة لهذا الانقسام الذى تعيشه . وهى فى قراراتها تتمنى أن تصبح رجلاً . ولكنها لا تستطيع . ومطلوب منها أن تؤدى دور الأنثى . ولكنها تكره ذلك . ولذلك فهى تحقد على الرجل . ولكنها هى مضطرة أن تتزوج . وأن تحيض كل شهر . وأن تحمل لابد فى داخلها رحما . وأن تصبح أما . وأن ترضع الوليد أو تكون مسئولة عن إطعامه . وهكذا .. أى أنه مفروض عليها دور الأنثى التقليدى . وهى تكره وترفض هذا الدور . وترنو بعينها إلى دور الرجل . ولذلك تنازعه فى دوره . تبغى . تعتدى . تزاحم . . وتكون مؤهلة فعلاً من الناحية النفسية لأن تؤدى دور الرجل . وتقتحم كل مجالات الرجل . ويكون ذلك على حساب التقصير فى أداء دورها الأنثوى إذ لايمكن لانسان أن يؤدى الدورين معاً بكفاءة عالية . وهذه المرأة إذا تزوجت رجلاً حقيقياً ينشأ صراع حاد ومرير منذ اللحظة الأولى للزواج . وغالبا هذا الزواج ينتهى إلى طلاق فالرجل الحقيقى لايستطيع أن يتراجع عن أداء دوره . ولايسمح لزوجته أن تتعدى حدود دورها الأنثوى . بل لايرضى أن تقصر فى أداء هذا الدور . ولذلك يحدث الانفجار ثم الطلاق ..

●●هذه المرأة لكى تستمـر حياتها كزوجـة فإنها تحتاج إلى رجل متواضع فى قـدراته . رجل يقبل منـذ اللحظة الأولى أن يتراجع عن أداء دوره بالكامل بل هو لايستطيع أداء هـذا الدور . ولذلك فهو يحتاج إلى امرأة قوية . أو امرأة أكثر ذكـاء منه . أو امرأة أكثر قيمة منه . ويلعب هـو دور التابع ويتنـازل بـرضا عـن دور الرجل الأول . تحت هـذه الظروف يستمر هذا الـزواج . ولكن رغم ذلك يظل الرجل غير سعيد . وغير راض . ودائم الشكوى . ولكنه لايستطيع أن يفعـل شيئاً . بل هو لايريد أن يفعـل شيئاً . وتستمر الحياة . وكذلـك تكون هذه المرأة غير راضيـه . فهى منقسمـة على نفسهـا . فهى ليست امـرأة بـالكـامل . وليسَت رجـلاً بالكـامل . وكم تتمنى أن تصبح رجلاً لتمارس دورهـا الحقيقى . أو كم تتمنى أن تصبـح أنثى بـالكـامل وتمارس الـدور الأنثـوى الحقيقى . ولذلك فهى تحسـد الرجـال . وهى أيضاً تحسـد النسـاء الحقيقيات وخاصة المتزوجات من رجال حقيقيين .

● ومن الصعب أن تـرجع القضيـة كلهـا وبـرمتهـا إلى خلل فى التكـوين الفسيولـوجى . فتقول ببسـاطة إن هنـاك رجلا غير كـامل وبالتالى غير مـؤهل لأداء دوره الذكرى بالكـامل وأن هناك إمرأة غير كاملة وبالتالى غير مؤهلـة لأداء دورها الأنثوى بالكامل . من الصعب أن نبسط الأمـور إلى هذه الـدرجـة وخاصـة أنـه لاتوجـد دلائل على المستوى المعملى البحثى تثبت هذا الـرأى . ولكنه مثبوت على المستوى الأكلينيكى .

● ولكن هنـاك عوامل بيئيـة ثقافيـة آخرى تشكل حـدود الأدوار وتشكل طبيعـة العـلاقـة بين الـرجل والمرأة وتحدد النظـام الأسرى والتفاعـلات داخله . ويمكن القول إن هنـاك مجتمعات ذكـرية بمعنى أنها تعُلى الدور الـذكرى وتعطى للرجل المسئوليـة الأولى وحق القيادة والقوامـة والرعـاية . وهناك مجتمعـات أنثوية وهـى التى استطاعت فيهـا المرأة أن تثـور وتصرخ على أولـوية الـدور الـذكـرى وأحقيتـه

السلطوية واستطاعت أن تنازعه هذه المكانة بدعوى المساواة إن لم يكن التفوق عليه إذا كانت تملك من الوسائل والإمكانيات والمواهب ما يجعلها تتفوق حتى وإن كان ذلك على حساب الشكل الأسرى التقليدى التراثى . حتى وإن دفعها ذلك إلى التضحية بحياة الأسرة وتفضيل حياة الوحدة والحرية بدلاً من أن تخضع لرجل .

●● وفى النهاية لايصح إلا الصحيح . ولكن ماهو هذا الصحيح ؟

●● الصحيح هو مجرد افتراضات نظرية على الورق ومن وحى الخيال والتصور الشخصى البحت .

●● ولكن الصحيح الواقعى العملى الحياتى هو أن كل علاقة بين زوجين هى علاقة خاصة جداً . كل علاقة لها ظروفها الخاصة وطبيعتها الخاصة التى تمليها الصفات الشخصية لكل من الزوجين حيث اختلافات الشخصية ، حيث اختلاف درجة الذكاء وحيث الموروثات البيئية الثقافية . كل إنسان متفرد بذاته . وكل علاقة زوجية متفردة بذاتها . وكل زوجين يتوافقان معاً حسب درجة الذكورة ودرجة الأنوثه فى كل منهما . التكوين الذكرى الكامل سيسمح للأنثى أن تعرف حدود دورها وتؤديه برضا وتسعد بهذا الدور وتسعد برجولة زوجها المتكاملة والتكوين الأنثوى الكامل السوى سيسمح للرجل بأن يؤدى دوره بالكامل ويسعد به وبذلك يتحقق انسجام وتكامل وتوافق لايمكن أن يتحقق إلا للأسوياء .

●● ونعود إلى صديقنا الرجل الذى يشكو من قوة زوجته وعنفها وتسلطها فتقول له :

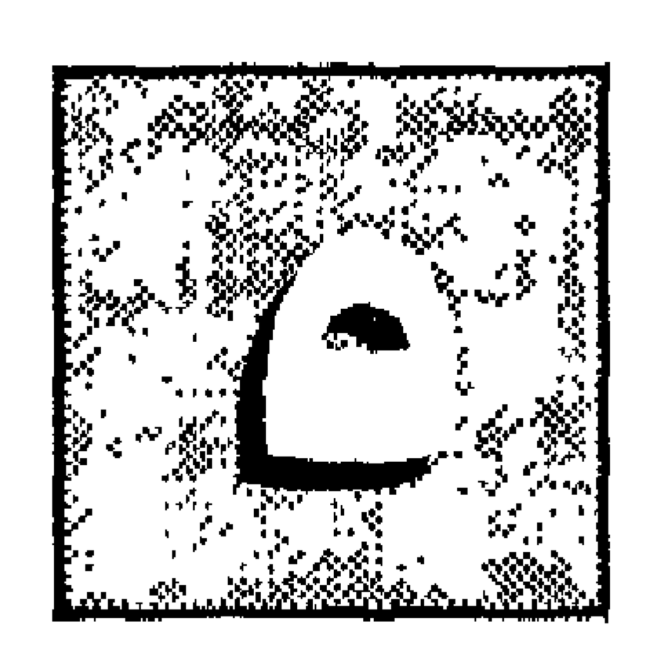
ـــ الشكوى بعد هذه السنوات الطويلة من الزواج تعنى أنك لاتستطيع الانفصال عنها . لقد استمرت حياتك لأنك أردت الاستمرار. ولوكانت لك اعتراضات حقيقية لكنت قد أنهيت العلاقة منذ البداية . بل لعل زوجتك بتسلطها وعنفها واستبدادها تلبى إحتياجات نفسية معينة عندك . أنت راض ولكنك تعترض .

واعتراضك باللسان فقط . فاستمر لأنك لا تستطيع أن تغير حياتك بل أنت لاتريد حقيقة أن تغير حياتك . وربما لو أتينا لك بزوجة مطيعة مسالمة خاضعة لما استطعت أن تؤدى معها الدور الذكرى الكامل ولما استطعت أن تلغى دور الرجل الأول . فهكذا أنت .وهكذا زوجتك . ولذلك استمرت بكما الحياة .

●● إن طبيعة العلاقة الزوجية تتحدد منذ اليوم الأول . أى منذ البداية . والطبيعة بكل أشكالها هى طبيعة سوية . والشذوذ هو الاستثناء . فى كل صباح تشرق الشمس وفى المساء تغرب . ويظهر لنا القمر . ويتعاقب الليل والنهار . وتهطل الأمطار . وتنمو الزهور . وتهب النسائم الرقيقة . أما العواصف والزلازل والبراكين فهى استثناءات شاذة .

وفى كل لحظة يلتقى ذكر وأنثى . يتحابان . ينجذبان . يتزوجان . وتسعد الأنثى بأنوثتها . تعشق دورها . تنتشى وتتلذذ بأداء هذا الدور . هكذا بفطرتها السوية . وكذلك يزدهى الرجل ويتحمس ويقوى لأداء دوره الذكرى . يظلهما سقف . ويغلق من دونهما باب . ويضجعان معاً . فينجبان . ويسعدان بقدرتهما على أن يهبا الحياة حياة . ويعطف الرجل على زوجته . وتحنو هى على زوجها . وتسود بينهما المودة والرحمة . شىء أسمى من الحب . شىء فوق الحب .

●● أما الاستثناء . والاستثناء النادر جداً هو زوجة سليطة اللسان غليظه القلب جافة العقل ورجل مكسور الجناح ضعيف الحيلة محدود فى إرادته وربما محدود فى رجولته . ويستمران . لأنهما هكذا ينسجمان . ولكنه انسجام الشواذ .



نقص الرجل وتفوق المرأة

●● تفوق المرأة على الرجل اقتصادياً أو علمياً أو مهنياً أو اجتماعياً من المواضيع الحساسة التى تحتاج إلى تناول دقيق ورقيق وبحساسية خاصة حيث إن هناك زيجات ناضجة (بمعنى أن الطرفين سعيدان) رغم تفوق المرأة وهناك زيجات فاشلة (بمعنى تعاسة الطرفين) برغم تفوق الرجل . إذن نجاح أو فشل الزواج لايتوقف بالدرجة الأولى على تفوق المرأة أو تواضع إمكانياتها أمام إمكانيات زوجها وخاصة أننا نتحدث هنا عن الامكانيات المادية أساساً . ولهذا فإذا قصرنا الدراسة على الامكانيات المادية فسنجد أنها لا تؤثر كثيراً على التوافق الزواجى . وأن الزيجات

التي تفشل بسبب التفوق المادى للزوجة يرجع الفشل فى النهاية إلى أسباب نفسية متعلقة بالتكوين النفسى للزوج ويكون التفوق المادى هو القشة التى قصمت ظهر البعير أو هو السبب فى تفجير الصراعات النفسية التى يعانى منها الرجل وخروجها إلى السطح وإطاحتها بسعادة الزوجين .

●● أما إذا تطرقنا إلى مجالات التفوق فى الذكاء والشخصية والثقافة فإننا سنجد حالات خلل حقيقية وخاصة إذا كان التفوق والتميز فى صالح الزوجة . إذن التفوق المادى يحتل مرتبة ثانوية فى الأهمية . وتأثيره على الزواج محدود . وهذا التأثير راجع لمشكلة عند الزوج . فاحأسيس النقص ليس بالضرورة أن تكون حقيقية . ويمكن أن يكون مبالغا فيها . وقد لا يكون هناك أى نقص ، بل الزوج هو المتميز والمتفوق فى كل المجالات ولكنه بالرغم من ذلك يشعر بالنقص. وهذا الشعور بالنقص هو الذى يتحكم فى سلوكه تجاه زوجته وموقفه منها . يحدد أفعاله وردود أفعاله ويجعله حساساً إلى درجة تجعل التعامل التلقائى معه صعباً . والحساسية بمعنى التأثر بدرجة عالية لاتتناسب مع حجم أو موضوع المؤثر أو المثير وكذلك رد الفعل الحاد المبالغ فيه والذى لايتناسب مع الموقف .

●● والسؤال الذى يقفز إلى الأذهان منذ البداية هو : لماذا يقدم الرجل على الزواج من امرأة أكثر تفوقاً وتميزاً منه ..؟

●● ولكن قبل هذا السؤال ، أتصور أنه يجب أن يكون هناك سؤال آخر وهو : من أين جاء الافتراض أو التصور أن الوضع الصحيح هو أن يكون التفوق والتميز لحساب وصالح الرجل ؟ أى أن الوضع الطبيعى هو أن يكون الزوج متميزاً على زوجته فى كل أو معظم المجالات .أى يأتى هو فى المرتبة الأولى وتأتى هى فى المرتبة الثانية .. ولماذا الافتراض ؟ ..إنه اذا حدث العكس ، أى تفوقت المرأة فإن المتوقع لهذا الزواج أن يفشل أو أن تواجهه صعوبات شديدة ؟

● وإجابة على السؤال الثانى قبل السؤال الأول نقول إن هذا تراث . تراث من الصعب أن نرجع إلى أصله وبداياته . ولانستطيع أن نرجع إلى أسبابه . تراث يملى ويفرض أن يكون الرجل متفوقاً أو على الأقل مساوياً لإمكانيات زوجته . ولاندرى هل هذا التراث بسبب أن الرجل كان متفوقا منذ البداية . أى أن هذا هو أصل الحكاية . أصل الخلق . وذلك لأن للرجل دوراً معيناً يجب أن يؤديه فى الحياة وأن يؤديه تجاه أسرته وتجاه زوجته . وأنه لايتاح له أن يؤدى هذا الدور بكفاءة وفاعلية إلا إذا كان متفوقاً ومتميزاً فى مجالات معينة وأن خللاً شديداً يحدث فى الحياة ، ويحدث فى العلاقة الزوجية إذا كان التفوق فى هذه المجالات كان لصالح المرأة !!

●● ليس أمامنا إلا أن نقبل هذا الافتراض الذى يتعلق بدور الرجل والذى شاهدناه يؤديه منذ بدء التاريخ المعروف لدينا .

●● وإذا تأملنا حولنا فسنجد أن الدور الذكرى متشابه فى معظم المخلوقات وأن الدور الأنثوى متشابه أيضاً فى معظم المخلوقات .

●● نعود إلى السؤال الأول : إذا كان هذا هو التراث المورث فلماذا يقدم الرجل وبإرادته على الزواج من امرأة تفوقه مالاً أو جاهاً أو علماً أو ثقافة ..؟

●● فى البداية قلنا إنه يجب أن نفرق بين الامكانات المادية المحضة وبين الامكانات الذكائية العلمية الثقافية ..؟

●● قبول الرجل أو إقباله على الزواج من امرأة تفوقه مادياً يرجع أحياناً إلى أسباب تتعلق بالظروف الاقتصادية التى نعيشها . فالمرأة بإمكانياتها الاقتصادية الأفضل تستطيع أن تتيح لهذا الزواج أن يتم وتستطيع أن توفر حياة أفضل وأمتع على المستوى المادى الحسى . وبعض الرجال لا يمانعون فى هذا . وبعض الرجال لا يستطيعون إلا هذا .

والتفوق المادى للمرأة قد لايسبب عقبة فى توازن العلاقة بين

الزوجين وخاصة إذا كان الزوج واثقاً بنفسه وإذا كان يملك إمكانيات أخرى تجعلـه أكثر تفوقـا ، وبالتالى أكثـر سـيطرة على مجريات الحياة، كأن يكون متفـوقاً فى علمه وذكائه وثقـافته ووظيفته . النقص المادى فى هذه الحالة لايجعله يشعـر بأى عجز . إذن الأمر يعتمد على ثقة الرجل بنفسـه . وبالتالى قدرته على أداء دوره الرجـولى بالكامل . ويعتمد أيضـاً على مدى إدراك هـذه الزوجـة لزوجهـا وإحساسهـا بأنـوثتها الحقيقيـة أمام رجـولتـه الحقيقية . وبـالتالى فهى لاتشعـر بتفـوقها المادى . فـالتفوق أو الإحسـاس بـالعجز أحـاسيس ليست مرتبطة بصورة مباشرة بالواقع .

●● ولكن الخلل فى العـلاقة يحدث إذا شعـر الرجل بعجـزه وإذا شعرت المرأة بتفوقها . هذه الأحـاسيس السلبية ستؤثر على إدراك كل منهما للآخر وستخلق درجـة معينة من الحساسية تـؤثر على موقف كل منهما من الآخر .

●● وفى الأحوال غير الطبيعيـة قد يتـزوج الرجل من امـرأة غنية طمعاً وشرهاً وحبـاً فى المال . وبالتالى يحقق طموحـه المادى عن طريق امرأة . وقـد يستغل عيوبـاً معينة فى هـذه المرأة فيشعرهـا أنه رضـى بالـزواج منها بـالرغم مـن هذه العيوب وعليهـا أن تسدد الفـرق من مالها . كأن تكون أكبر منـه سناً بدرجة كبيرة ، أو تكـون متواضعة الجمال ويتاجـر هو بشبابـه وقوتـه ووسامته معهـا . إذن هو زواج مقايضة . وزواج طمع . زواج يعتقد فيه أحـد الأطراف أنه هو الأقوى وأن الطرف الآخـر هو الأضعـف أو هو المحتـاج أو هو المضطـر . إنه زواج المنفعـة وزواج الاضطرار وزواج الحاجـة . وهو زواج محكـوم عليه بالفشل منذ البدايـة . زواج يسبب جرحاً فى كل يوم . زواج يزداد فيه الألم والمرارة كل يوم .

●● أما حين يتـزوج الرجل امـرأة تفوقـه علماً وثقافـة وذكاء أو تفوقـه فى مكانتهـا الاجتماعية فهـو يحتاج إلى هـذه المرأة المتفوقـة .

يحتاج إلى امـرأة أفضل منه . يحتــاج إلى امرأة أقوى منــه . يحتاج إلى احتـواء هذه المرأة لــه . إنــه رجل يحب أن يكون فى الـوضـع الادنى . الأضعف يحتــاج أن يكــون فى الظــل . يحتــاج إلى أن تشير النـاس إلى زوجته . يحتاج إلى أن ينتسب هو إلى زوجتـه لا أن ينسب زوجته إليه . وهو نفس الرجل الذى يتـزوج من امرأة مشهورة . فهو يحب أن يُقال عنه إنه زوج فلانة . أى يُعَرف بزوجتــه . هذه احتياجات نفسية وفنية فى الرجل تتعلق بطفولته وتنشئتــه وتتعلق بعلاقته بأمه .. ويلعب مثل هذا الرجل دوراً ثانوياً وهامشياً فى حياة الأسرة .. فزوجته تتقدم عليه فى كل شىء . تسبقــــه . فى التفكير وفى الـــرأى وفى التنفيــذ . وهـــو لايشـــكو ، بل هو سعيد ومتوافق وهو الذى اختار منذ البداية .

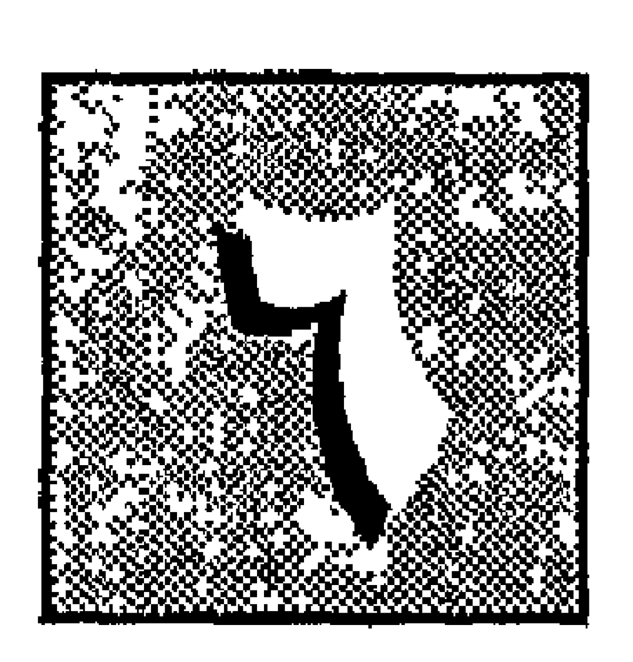
●● وقـد تكـون الفـروق بسيطة فى البـدايـة بين الـرجل والمرأة لحساب المرأة فى تفـوقها وتميزها فى بعض المجــالات . ولكن الظروف تشاء أن تتقدم المرأة بسرعــة وتتفوق لذكائهــا وقدراتها الشخصية أو لموهبتها فى مجال معين . فتبرز علميــاً واجتماعياً وبالتالى اقتصــادياً . بينما يظل الـرجل فى مـوقعـه أو يتقدم ببطء حسـب قانـون التطـور الـزمنى بينهما . فيشعر هـو بضعفه . وتشعـر هى بقوتها . وتشعـر أيضــاً بضعف زوجها . وهنـا يحدث خلل شديـد فى العلاقــة . يحدث اضطـراب فى إحساس الـرجل بذاتــه . إحســاسه كـرجل . إحساســه كـزوج. يفقد تـدريجاً قـدرتـه على السيطرة وقـدرتـه على التحكم فى الأمـور وتسييرها . تختــل فى يده عجلــة القيــادة . يعقب ذلك خلل فى مشاعـره تجاه زوجته . تختل صورتها الأنثـوية . وبالتالى يتبــاعدان نفسياً . ويتبـاعدان عـاطفياً . فـالفراش الحقيقى لايكـون إلا لرجل حقيقى وامرأة حقيقيــة . وقد يفقد هذا الـرجل قدرته الجنسيــة تماماً تجاه هــذه المرأة بــالذات . وقـد تعمق وتـدعم وتعـزز الزوجــة هــذه الأحاسيس السلبيــة نتيجة لحالــة الزهــو والقوة والسلطــة والتفوق والشهرة التى تعيشها فى الخارج . أى خارج البيـت . وقد يبدو زوجها

فى عينيها ضئيلاً باهتاً محدوداً . فتتأثر مشاعرها هى نحوه . تفقد مشاعرها الأنثوية إزاءه . وتسىء معاملته . فيمتلىء البيت بالهواء السام . فينفصلان . أو يستمران تظلهما التعاسة والرفض والغضب والعداء الخفى أو الظاهر .. ويحاول الرجل أن ينتقم من زوجته ويعذبها بشتى الوسائل . وعدوانيته تكون بسبب إحباطاته . وتتعذب هى . ويتعذب هو أكثر . ويتشتت الأبناء لهذه الصورة الزوجية الأسرية الاجتماعية المهزوزة . ليتشتت ولاؤهم وليتشتت توجههم . ويتشتت إعجابهم . إنها حالة من الفوضى النفسية . الرجل رافض ولايستطيع أن يقبل أو يتقبل وأيضاً لايستطيع أن ينهض بنفسه ولايستطيع أن يفعل شيئاً . والمرأة لاتستطيع أن تطلب منها أن تتراجع وتتنازل وتتخلى عن انجازاتها التى حققتها بذكائها وعلمها وثقافتها وموهبتها .

●● إنه وضع صعب وشائك ولاحل له . إنه خلل فى النظام . والنظام جاءنا من التراث . والتراث له أصل من الحقيقة . وربما هو تعبير عن كل الحقيقة . حقيقة الرجل والمرأة ودور كل منهما فى الحياة وطبيعة العلاقة التى يجب أن تكون بينهما . والتوازن لايأتى من تفوق أحدهما بالكامل وفى كل المجالات على الآخر . وإنما بأن يفضل الرجل المرأة فى مجالات متعلقة بأداء دوره وتفضل المرأة الرجل فى مجالات تتعلق بأداء دورها .

فضل الله المرأة فى أشياء وفضل الرجل فى أشياء آخرى . وبذلك لايتعارضان وإنهما يتكاملان . وبذلك لايشعر أحدهما بالنقص إزاء الآخر . وبذلك لايتولى أحدهما الزهو إزاء الآخر . وإنما يشعر كل منهما بالاحتياج الصحى والطبيعى للآخر . هكذا فضل الله بعضهم على بعض . إنه التفضيل الذى يجعل أحدهما يحتاج الآخر ليتكامل معه وليكتمل به . إن كل واحد منهما وحده منفرداً غير مكتمل . منقوص مهما ملك ومهما اكتسب . ضعيف وحده . محدود وحده . ولا

معنى لحياته وحده . فقط يكتمل ويشعر بالرضا والسعادة إذا التقى بالآخر وتزوج منه وعاش معه . وهذه حكمة الخالق عز وجل فى التفضيل ، وهذا هو معنى الزواج . وهذا هو الهدف من الزواج . الزواج هو أن نعيش معاً . حياة مستقرة ثابتة مستمرة خالدة . كل منا يكمل الآخر ، كل منا يحتاج لوجود الآخر كل منا لا يستطيع أن يعيش بدون الآخر . كل منا يحترم دور الآخر فى حياته . ولابد أن يقر فى ضمير كل منهما ووجدانه أنه لاسعادة ولا إشباع ولارضا ولاطمأنينة ولا استقرار إلا فى وجود الآخر . ولا أن يشعر أحدهما أنه متميز على الآخر ولايشعر أحدهما بالنقص عن الآخر . ينطبق هذا على الرجل وعلى المرأة . إكتمال وتكامل لا مساواة .



رجل وامرأة

الـزوج يـرفض المبـارزة . مع أنـه من العـار أن يهرب الـرجل أو الفارس مـن النزال . المرأة تشهـر سيفها والرجـل يدسـه فى غمده . . المرأة* تكيل الاتهامـات للرجل وتستفـزه والـرجل يبتسم بهدوء ويهز رأسه موافقاً ولكنه لايريد أن يجادل .

●●● المرأة تصرخ وتقـول : إريد حـريتى . والرجل يقـول لها: حـريتك معك . افعلى ما يمليـه عليك ضميرك ودينك وقيمك وأخـلاقك وتربيتك وتنشئتك .

وتصرخ المرأة ثانيـة وتقول : ولكـن هذه قيم مـوروثة وأنـا اريد حرية الثورة على الموروثات وبنفس الابتسـامة الهادئة يقول الرجل : إذن قضيتك ليست معى ولكنهـا مع الموروثـات ومع بقية النسـاء مع كل النساء منـذ بدء الخليقة وحتى الآن . لابـد ان يكون الحوار بينكن

لتصلن إلى أصل الحقيقة .

●●وتعود المرأة للصراخ وتقول: أنا ضد الرجل .أنا ضد أن تكون المرأة متاعا جنسيا للرجل . فيتساءل الرجل بدهشة : ومن قال ذلك .. ؟ الجنس علاقة تبادلية تحتاج الى شريكين يعبر كل منهما عن رغبته للآخر . لا يوجد قانون سماوى أو أرضى يجبر المرأة على ان تمارس الجنس مع زوجها بدون رغبة منها . هذه بديهية ، ولا اتصور انه توجد الآن او حتى من الف سنة امرأة واحدة تشكو من القهر الجنسى . هذه قضية نضالية زائفة عفا عليها الزمن ، نريد ولو امرأة واحده ترفع شكوى فعلية انها تتعرض للقهر الجنسى من زوجها ، ان المتعة الجنسية عند الرجل ـ على المستوى الحسى البحت ـ ليست فى تحقق لذته وانما فى أن يرى تحقق اللذة فى عينى زوجته . أما على المستوى الوجدانى الانسانى فإن متعة الرجل تصل الى أقصاها باقبال زوجته عليه بفيض من مشاعرها .

ان الجنس فى الزواج غير الجنس الذى تتحدثين عنه .

●●وتعود المرأة للصراخ ولكن هذه المرة بصوت عال جدا : واعترض ايضا ان تكون وظيفتى فى الحياة ان أكون اما . ان احمل وان ألد . وجود الرحم داخل احشائى لا يعنى انه من الضرورى ان استخدمه ليمتلىء بطفل .

واجابها الرجل ولكن بيأس : ومن قال انه لزاما على كل امرأة ان تحمل وان تلد . هناك وسائل لمنع الحمل قد تصل الى حد ربط الانابيب أو ازالة الرحم كلية . وهناك وسيلة اخرى وهى الامتناع عن ممارسة الجنس مع الزوج . وهناك وسيلة ثالثة وهى أكثر فاعلية وأكثر جدوى للنساء اللاتى يعترضن على دور الامومة وهى الا تتزوج على الاطلاق . لا احد يمنع امرأة من الا تتزوج . عدم الزواج يعطى المرأة الفرصة لتمارس تحقيق ذاتها . هذه الذات التى تتشوش حدودها ومعالمها اذا قصرنا دور المرأة فى الحياة أن تكون اما ، لا احد

يجبر المرأة على أن تكـون امـا . ولكنهـا اذا ارتضت ان تتـزوج رجـلا يعيش فى هـذا العصر فـلابد ان تصـل معه الى اتفـاق مكتـوب او غير مكتوب بشأن موضوع الامومة وخاص قبل عقد القرآن .

ولكن وجـود الـرحم بين احشـاء المراة هـو فى الاصل من أجل الانجـاب . ووجـوده مبرر كـاف للانجـاب ولقـد اوجـده الله فى المرأة بالـذات ولم يوجـده فى الرجل . وحين خلقـه فى المرأة جعل لها نظـاما هورمـونيا خـاصا يتحقق من خلالـه الانجاب . والـدليل على ذلك هذا النزف الشـهـرى . واذا اعترضت المرأة على هذا النزف الشـهـرى الذى قد يعطلها عن ممـارسة نشاطها على الـوجه الاكمل فإنها تستطيع ان تـوقفه عن طـريق تعاطى الهورمـونـات او الافضل عن طريق ازالـة الـرحم . ووجود الـرحم فى احشاء المرأة وعلى جـانبيه المبيضـان مثل وجود الخصيتين عند الرجل كمصنع للحيوانـات المنوية ولهورمونات الذكـورة. واذا رأى الرجل ان دوره فى الحيـاة ليس فقط ان يكـون ابا فعليه فـورا المطالبة بجـراحة الإخصـاء ولكن حتما وبدون شك فإن وجود الخصيتين مكمـل لدور الرجـل فى الحياة وهو أن يصبـح ابا فى يوم من الايام .

ان مبررات وجـود الـرحـم هى نفس مبررات وجـود العين . العين خلقت لنرى ولا نستطيع ان نقول ان وجود العين ليس مبررا لان نرى أو أنه لزاما علينا ان نرى ومن لا يـريد ان يرى فليفقأ عينيه ويريحنا . والحمل ليس رغبة شخصية بـدليل ان كل النساء يتمنين الحمل . وفى احوال نادرة جدا تصل الى حد الشذوذ ترى المرأة حفاظا على رشاقتها الا تحمل لان ذلك يتعارض مع طبيعة وظيفتهـا كراقصة أو لان الحمل سيعـوقها عن تحقيق طمـوحـاتها ومشـاريعهـا . وهـذه هى حريتهـا الشخصيـة . حريتهـا الشخصية هى بـالذات . وليس من الحريـة ان نفرض هـذا الرأى على كل النسـاء . ليس من الحرية ان نـرسخ مفهوم أنه لا عـلاقة بين الـرحم والحمل ، أو أن وجود الـرحم ليس مبررا لان

تحمل المرأة .

●●وتعـــود المرأة للصراخ بصـــوت لا تفهم كلماتـــه من شـــدة ارتفاعه: : وليس وظيفة المرأة ان تقوم على خدمة الزوج أو حتى خدمة اولادها لا يجب ان ننظر الى المرأة فى اطار اسرتها . المرأة يجب ان ننظر الى ذاتيتهـا المتفـردة خـارج نطـاق الاسرة . المرأة هى المرأة المرأة هى الانسان ،لا أن ننسبها الى زوج واطفال واسره . وبالتالى فهى ليس لها أى مسئوليـات خاصـة تجاه الاسرة ،مسئوليـاتها تجاه نفسـها فقط . وهذا هو المعنى الحقيقى للحرية ، أى الذات المستقلة .

فيعود الرجل ويقول وقد زال أســاه وحل محله لا مبالاه : ومن قال ان كل امرأة يجب ان يكون لها اسرة ان الحرية تبدأ وتتحقق عند نقطة الاختيارهذا أحد جوانب الحريـة ، حرية الاختيار ، اختيار من تحب . اختيـار من تتزوج اختيـار الـزوج كأسلـوب حياة أو كشكل للحيـاة اختيـار، الامـومة اختيـار الاسرة . ولكن حين تختـار المرأة فليس من حقهـا ان تقـول انـا شـىء والاسرة شىء .فـالاسرة نظـام اجتماعى انسانى تتم فيـه علاقات وتفـاعلات معينـة . والمرأة تصبح جزءاً من هذه العـلاقات والتفـاعلات جزءاً من نسيج لابـد أن تتداخل خيـوطه وتتقاطع ولكن بلا شك فإن استقـلالية ذاتها تتحقق بصورتها الاكمل إذا قررت عدم الاسرة .

ولا شك ان أى إنسان يعيش وجـده فى جزيرة مهجـورة يتحقق له فيها الشعور بالذاتيـة المطلقة بل من الصعب ان تكون مطلقة حتى فى هذه الجزيرة المهجـورة اذا كان فيها حيوانـات وطيور وحشرات فعليه حينئذ ان يتعامل مع هذه الكائنات الحية مما يقلل من حدود احساسه بذاتيته واستقلاليته ، بل عليه ان يتفـاعل مع النباتات الموجودة ايضا ومع الطبيعـة من حـولـه من ليـل ونهار وامطـار وعـواصف . ان الاحساس بـالاستقلالية والاحســاس بالذاتيـة احساس نسبى , وأى انسان ولد فى اسرة وحتى وان ولد فى اسرة ورمـوه بعد ذلك فى الشارع

فإن احـدا سيلتقطه ويأخـذه فى اسرة او سيـدفع به الى ملجأ لليتـامى لكى يعيش رغما عنه فى السياق الاجتماعى . ليصبح جزءا من النسيج الاجتماعى ..

ويحتـاج الانســـان فى داخل السيـاق الاجتماعى الى نـــوعين من تحقيق الذات : ذاته المتفردة وذاته الذائبة فى الجماعة . الاحساس فقط بـذاتـه المتفـردة معنـاه الشعـور بـالنبـذ والـرفض من الجماعـة . والاحساس بذاتـه الجماعية معناه ضياع الهو يـة الشخصية . وهكذا فى نطـاق الاسرة لابد أن يشعـر بـذاتـه المتفردة القـادرة على التفـاعل الارادى الاختيـارى التلقـائى الحر مع بقيـة افـراد الاسرة . وفى نفس الوقت مـادام ـ اختيـارا ـ عـاش مع الاسرة فإنه يحتـاج الى ان يذوب داخل هذه الاسرة فى كيـان واحد فيشعر انـه هو الاسرة .. أى انهم هم جميعـا الاسرة . شـىء واحـد لا اشخـاص منفصلين . وليسـت هـذه موروثات اجتماعية املاها التاريخ والتراث ولكنها فطرة الانسان . أما الانسان المريض البـارنويد الاضطهـادى الانانى النـرجسى المغرور المتعـالى المنتفخ بجنون العظمـة فإنه يـرفض الذوبـان فى المجموعـة الصغيرة «الاسرة» ويرفض الذوبـان فى المجموعة الكبيرة « المجتمع » ويظل يؤكد على ذاته المستقله المنفصلة .

وإنسـان مريض آخر ـ مرضـا عقليا ـ يذوب تماما مع الجماعة غير مدرك لحدود ذاته فى حالة شديده من تفسخ « الأنا » وضيـاع حدودها وملامحها . كلاهما مـريض . اما التوازن الصحى الطبيعى الفطرى التلقائى فهو أن يعيش الانسان ذاته المتفردة ويعيش ذاته المتوحدةمع الاسرة ومع المجتمع بغض النظر عن جنسه سواء كان رجلا أوامرأه

●● ويبـدو أن الحوار كان من طـرفين حينما كـانت المرأة تصرخ وتعترض فيستجيب لها الـرجل . ويصبـح من طـرف واحــد حين يستجيب الرجل ولكن تنتقل المرأة الى نقطة اخرى .

لم تستجب المرأة لاستجابه الـرجل وعادت تصرخ : المرأة لا يمكن

ان تخضع لـرجل . المرأة لا يمكن ان تقبل المعاملـة الادنى والدونيـة . هذا ضد انسانية المرأة . المرأة لا يمكن ان تسلم قيـادها لرجل . الرجل ليس هو الراعى والمسئـول الاول . المرأة ليست هى التابع وليست هى الرعية .

وقـال الـرجل بـدون اهتمام كبير : الامر ليس خضـوعـا وتبعيـة وقيـادة. انها مسئوليـة مشتركة يتم فيهـا توزيع الأدوار . قـد تلعب الموروثـات دورا فى تـوزيع هـذه الأدوار . ولكن من أين جـاءت هـذه الموروثات ؟ وأى قـدر من الصحة تتمتع به ؟ وهل فى هـذه الموروثات ظلم أو امتهـان للمـرأة ؟ . اذا شعرت المرأة بـالظلم أو الامتهـان فمن حقها أن ترفض . مـن حقها ان ترفض المسئوليات التى يـدعى الرجل انها من اختصـاصاتها . من حقهـا ان تنازعـه هذه الاختصـاصـات ، ومن حقها ان ترفـض بعض مسئولياتها . وهذه هى النقطـة الثانية فى مفهـوم الحرية . كـانت النقطة الاولى حق الاختيـار . ثم تاتى النقطـة الثانية وهـى حق القبول والرفض . ان عقد الزواج المكتوب ليس هوكل شـىء . وإنما هناك عقـد اخر غير مكتـوب يحمل شروطا غير مكتـوبة ولكن يتم الاتفـاق عليهـا ويتم تحريـره ضميريـا كل يـوم وعنـد كل مـوقف وفى كل تعـامـل . إن الامـر يتـوقف على شخصيـة كل منهما وامكانياته وذكائه ومواهبه وقدراته وخبراته وتراثه البيئى الاجتماعى والثقافى . الامر لا يتوقف على القدرة البـدنية العضلية او القدرة المادية وانما يتـوقف على الشخصيـة والـذكـاء والعلم والثقـافـة والخبرة والجذور البيئية .. انه « أنا » إزاء « أنت » .

هناك حقيقة أدوار تراثية مـوروثة ولكن حدود هذه الأدوار تتعدل حسب الامكـانيات الشخصيـة لكل منهـا . ولكن لا نستطيع ان نفلت ابـدا من ان هنـاك جنسين : رجـلا وامـرأة . وان الادوار لها عـلاقـة بـالجنس رجل أو إمـرأة . وانـه لا يمكن تبـادل بعض الادوار وبعض المسئـوليات وانـه لا يمكن التنازل عن بعض الاختصـاصـات . الامـر

ليس حربا وليس صراعا وليس نزاعـا ، القضية ليست تابعا ومتبوعا . والمعاملة المهينة اصبحت غير مقبولة انسانيا حتى من السيد للخادم ، فالـزواج اساســه الاحترام . احترام انسانيـة كل طـرف . وهو احترام نـاشىء من التقـدير والحب . الاحترام والتقـديـر يدخـلان فى نسيج الحب . والانســان الســوى يحترم من يحبــه . ولا يحب الا من كـان جديـرا بالاحترام . واذا تعمقنا فى مفهوم المودة والـرحمة نجد انـهما لا يتحققان الا من خلال علاقة يسودها الاحترام .

ومن حق كل إنســان ان يخرج من عــلاقة الــزواج اذا لم يكن هــذا الزواج يحقق لـه الاحترام الكافى الذى هـو حق لكل انسان ، حق يجب ان يتمتع بـه فى كل عـلاقــة إنســانيـة مع صـديق او زميل أو جـار . والاحترام لا يتعلق بالتعليم ولا يتعلق بالبيئـة الاجتماعية وغير مرتبط بمفاهيم استقر عليها الانسان . إنه أمـر يتعلق بالوجدان ، أى العاطفة والمشاعر ، العاطفة النبيلة والمشاعر الطيبة والوجدان السامى الراقى. انها الفطره الســوية . احترام الانســان للانســان . انها رقة المشــاعر والذوق والسماحـة والصفاء والشفـافية والتـواضع والبســاطة . او بكلمة واحدة جامعة فاصلـة وفى غاية التحديد : انها المودة « ارجع الى القرآن الكريم » .

ولذلك فإن شكل العلاقة الزوجية يتحدد بعد وقت قليل من الزواج حين يصبح كل انسان على طبيعته . أى يصبح ذاته الحقيقية . يصبح هـو كما هو . وتصبح هى كما هــى . وأن تكون مقبـولا كما أنت . وأن اكون مقبولا كما أنا . وهذه هى النقطة الثالثة فى مفهوم الحرية . كانت النقطـة الاولى هى حق الاختيـار والنقطـة الثـانيـة هى حق القبـول والرفض أما النقطة الثالثـة فهى ان اكون انا . ذاتى الحقيقية .. قبول الآخـرين لهذه الذات كما هى . عـدم اضطـرارى لان اجامل وانـافق . وهى تعنى اولا واســاســا صـدق الانســـان مع نفســه .. وهى تعنى اساسا قبـول الانسان لنفسه . وهى تعنى رضا الانســان عن نفسه .

رضـــاه عن دوره ومسئـوليـاتــه وبـــالتــالى رضـــاه عن حـدود دور واختصاصات ومسئوليات الاخرين .

امــا الانســان الـذى لـديـه مشكلـة مع نفســه وسيعبر عن هــذه الصراعات بـالثورة والغضب والـرفض سيحاول ان يبـدو فى صورة غير ذاتـه الحقيقية . فهـو نفسه رافض لهذه الـذات أو رافض لبعض جوانبهـا وغير راض عنها . لن يكون هـو « ذاته الحقيقية » فى تفـاعله وتعامله مع الاخـرين بل سيكون الذات المزيفة . وسيحـول صراعاته الداخلية الى صراعات مع الآخرين .

هـذا الانسان يطـالب وبصوت عـال ومؤلم بـالحرية . ويتصــور واهما ان الآخـرين يحاولون أن يقصــوا ويختـزلــوا من حريتــه . وفى الحقيقة انه هو الذى سجن نفسه داخل الذات المزيفة ، لانه لم يستطع ان يكون ذاته الحقيقيـة . لانه غير راضٍ عن هذه الذات . وهــذا هو ما يحدث مع قلـة قليلة جـدا من النســاء . ولهذا يثــرن من اجل قضـايـا وهمية غير حقيقيـة ، يثرن ضد سيطـرة الرجل وضــد خضوع المرأة يثرن ضــد عدم احترام الـرجل للمرأة . وضد المعـاملة الـدونية التى تتلقاهــا المرأة من الرجــل . وضد اضطرارهــا لان تهتم بنظافـة البيت واعداد الطعـام . وضد اضطرارهــا لان تحمل وتلد .. وضد خضــوعها الجنسى للرجل .. وضد .. وضد .. وضد الى اخر

سلسله طويلة من التوهمات ، بـل قد تتوهم ايضا انها مضطرة الى مسح حذاء الزوج . مشكلة هـذه المرأة مع نفسـها وليست مع الرجل . وليست هى مشكلة المرأة مع المرأة ، بل هى مشكلــة امرأة ذات طبيعة خاصة أو امـرأة ذات ظروف خاصة جعلتهـا غير راضية عن نفسـها . جعلتها غير واثقـة بنفسها . جعلتها فى صراع نفسهــا . جعلتها عــاجزة عن أن تكـون ذاتها الحقيقية . جعلتها تشعــر ان الاخريـن لا يقبلونها كما هى فــاضطـرت الى اصطنــاع ذات مزيفـة . وهــذا اجج من حــدة الصراعــات داخلهــا . ونقلت هــذا الصراع خارجهـا نقلتــه الى الـرجل .

واسقطت عليه كل احباطاتها مع نفسها . واتهمته بانه هو الذى اهانها واحتقرها وحقرها وجعل لها احط الأعمال (حملاً وولاده واهتماماً بالبيت) وأنه استخدمها جنسيا . وبالطبع لم يفهم الرجل ماذا تعنى هذه المرأة . والاهم والاخطر ان بقية النساء لم يفهمن ماذا تعنى هذه المرأة . مما زاد من حدة عزلتها وزاد من حدة ثورتها اذ شعرت بانها تصرخ ولا أحد يسمع اولا احد يريد ان يسمع أو الاصح لا أحد يفهم .

●●وعادت تصرخ وطرحت اعتراضا ساذجا : من قال ان من اختصاصات المرأة ودورها ان تتحمل مسئوليات البيت من تنظيف واطعام للاسرة .. إن ما يثيرنى هو ان تقترن المرأة بهذه المسئوليات التافهة وترتبط بها .. قال الرجل برثاء : تضطر المرأة للعمل خارج البيت . ويوافق الزوج ويساعدها على ذلك . وفى هذه الحالة يشترك معها بقدر ما يسمح الوقت المتاح لكل منهما بالعمل فى البيت . بل يساعدها فى كل شىء . قد يتولى كل مسئوليات المطبخ مثلا . واحيانا ترفض الزوجة مساعده الزوج لها . تكره وقوفه فى المطبخ تعتبر ان ذلك اعتداء على مسئولياتها . ربما يكون ذلك بحكم موروثات تجعلها تصر على تحمل كل هذه الاعباء والمسئوليات .

الحياه الزوجية ـ لمن اراد الزواج وفهم معناه ـ تعاون ومشاركة وتحمل لمسئولية اسرية وليس تحملاً لمسئولية افراد أو فرد معين . الاسرة كيان متكامل وله متطلبات . وعلى افراد الاسرة التعاون من أجل توفير احتياجات ومتطلبات الاسرة سواء بالعمل داخل البيت أو العمل خارجه . ليست مسئولية الزوج أو الزوجة فقط بل مسئولية الابناء ايضا .

عادت تقول دون أن تتخلى عن صراخها : المهم هو العدل . العدل فى توزيع المسئوليات داخل البيت وخارجه . مع الاقرار بشىء هام هو أن اعمال البيت ليست مرتبطة بالمرأة . والمرأة مكانها هو العمل خارج البيت .

●●قال الـرجل وقد فقد حماسه تمامـا : من يعمل لابد ان ينتج . لابد أن يكـون لديه علم وخبرة لابد أن يكـون لديه ما يقـدمه ليستحق الاجر الـذى يتقاضاه . العمل ليس رفاهيـة . وخلق كل انسان ليعمل . ولا معنى للحيـاة بدون عمل . والعمل اسـاسا من اجل الـرزق . وكل انســان يستفيـد من عمل الاخـر . المحـامى يحتـاج للطبيب والطبيب يحتاج للنجار وهكذا ... ورزق كل انسان يتوقف على احتياج الاخرين لما يقـدمـه من عمل . وتتـوزع الاعمال حسب درجـة الـذكـاء والعلم والكفـــاءة والخبرة . ولكن كل عمل مهم . وكل عمل ضرورى . هنــاك اعمال تحتـاج الى مهـارات اقل ولكنها اعمال ضروريـة . وكل إنســان ميسر لما خلق له . والنبـوغ والموهبة والعبقـرية استعدادات خـاصة . وكل انســان يجب ان يأخذ حقـه وان يحتل المكـانة التى يستحقهـا . والبيت ليس التنظيف واعداد الطعام هـذه اشياء بسيطة ولا تحتاج الى مهارات خـاصة وأى انسان بسيط يستطيع ان يؤديها . ولا أحـد قال ان هـذه الواجبـات ارتبطت بجنس النســاء . ولكن البيت شىء اخـر ، البيت اعداد نفسى البيت مؤسسة روحية . البيت قيمة معنوية ، البيت ادارة انسانية اخلاقية . البيت يحتـاج الى مايسترو ، قائد معنوى مثل قائد الفـرقة الموسيقية التى تعـزف لحنا أوركستراليا لا ينفذ بـدقة الا بهارمونى او انسجام علمى . البيت إدارة علاقات وجدانية وفكرية .

● وارتبط البيت بتربيـة الابنـاء وتنشئتهـم . وهى ليست تـربيـة اجســاد ولكن تربيـة عقول ونفـوس وسلـوك ومتابعـة نمو وقـدرات وامكانيـات ومواهب وتعليم وتثقيـف عملية معقدة وصعبـة ولا يمكن ان تتم على الـوجه السليم بشكل تلقـائى . وإنما تحتـاج لعلم وثقافـة وخبرة ووعى ودرايـة واهتمام وبحث . وتراثيـا وتاريخيا ومـن خلال مـوروثـــات قـامت المرأة بهذا الــدور واحسنت واتقنت اداءه وفشل الـــرجل تمامـا فى هـــذا الـدور . ولـــذلك اصبحت المرأة هى القـــائد والمايسترو داخل البيت . واصبح الرجل هـو القائد والمايسترو خارج البيت . وبعـد الف عام قـد يثبت عدم صحـة الموروثات التى نتبعهـا

حـاليا وينجح الـرجل داخل البيت وتنجح المرأة خارج البيت ويعـاد توزيع المسئوليات ونتخلص من موروثاتنا القديمة .

ورغم محاولتـه لترضيتها بجملته الاخيرة والتـى كان يعنيهـا حقا وبتفكير علمي ومنطقي الا انها استمـرت فى صراخها وقالت : لابـد من زعيمات يقدن حـركة تحرر المرأة . ان قضيـة المرأة هى الحريـة ،هذه هى القضية الاساسية ..

●●قال لها وقد اكتست نبرته بسخرية اليائس : هذا معناه انك لم تستخلصي شيئا من حـوارى معك . ان جوهر ردودى عليك كـان هو تشخيصـاً لمعنى الحريـة . الحريـة هى حق الاختيـار ، وحق القبـول والرفض وصدق الانسان مع نفسه ليكون ذاته الحقيقية .

وبهذا المعنى لا يمكن لانسان ان يحرم انسانـاً من حريته . الحرية احساس داخلى ، الحريـة لا تمنح . لا تعطى من الخارج . الحرية تنبع من الداخل . ويشـترط لمن تريد ان تنادى بـالحرية للاخرين ان تشعر هى بحريتها اولا .

وتمادى فى سخـريتـه قـائلا : وثمـة شروط اخـرى لمن تـريـد ان تتصدى لقضية حرية المرأة وهى كالآتى عدا :

واحـد : ألا ترتدى حذاء ذا كعب عال . أذ ليس من المعقول ان تنادى بالحرية وهى تهتز فى مشيتها وقد تتعثر فتقع .

اثنين : الا ترتـدى ملابـس مزركشة ذات الـوان فاقعـة وشراشيب وترتر او لولى أو أى حلى أخـرى . وألا تكون الملابس ضيقة أو قصيرة الى الحد الـذى يكشف عن معظم سـاقيهـا . فليس من المعقول ان تنادى بالحريـة وهى تستعبد الجسد وتجعله مثيرا لعيون الاخـرين وخاصـة عيون الـرجل . وتجعله كـذلك مثيرا لحسد وحقد وغيرة السيدات الاخريات .

ثلاثة : الا تتعطر باى بارفانات لان للبرفانات مدلولاً جنسيا . اذ ليس من المعقـول ان تنادى بحـرية المرأة بينما هى من بـاب خلفى تسعى لاثـارة مشـاعـر الـرجل الجنسيـة . والا تتـزوق بـاى

مساحيق لنفس السبب . وايضا الا تطيل اظافرها وتضيع وقت النضال فى طلائها .

أربعه : الا تتزين باى مجوهرات وخاصة ما يسمى بالالماظ والماس لانها لابد ان تكون مثلا اعلى صالحا للتوحد للفقيرات المطحونات .

خمسة : ان تكون ولدت وعاشت وتربت مع ابويها المنفصلين . أى لا تكون قد تربت فى ظل زوج الام او زوج الاب لان من عاشت بعيدا عن احد الابوين الفعليين لا تدرك المعنى المتكامل للاسرة وذلك حتى لا تتخذ موقفا معاديا لمفهوم الاسرة ومعناها الصحيح وذلك بسبب عوامل لا شعورية دفينة بسبب سوء معاملة زوج الام أو زوج الاب .

ستة : ان تكون سيدة منجبة وان يكون لها فعلا طفل أو أكثر حتى لا تتخذ موقفا معاديا لعضو الرحم .

سبعه : الا تكون على علاقة بشخص اخر غير زوجها .

ثمانيه : الا يكون لها تاريخ غير اخلاقى سيىء فى مراهقتها وشبابها. أى تكون حسنة السير والسلوك .

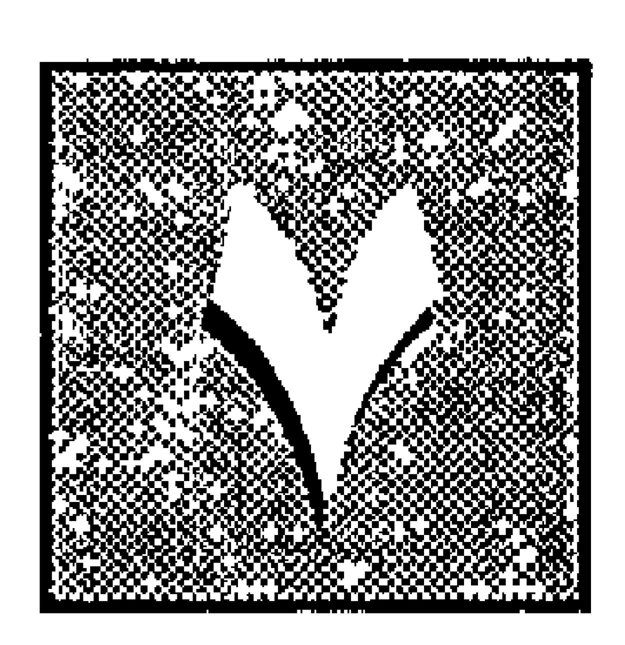
تسعه : الا تكون قد تزوجت اكثر من مرتين وفى حالة تعدد الازواج عليها ان تحضر ما يثبت ان طلاقها دائما كان بسبب سوء طباع أو اخلاق الزوج .

عشره : الا يكون لها طموحات اعلامية أو شهوات زعامية حتى لا يختلط علينا الامر . ونعتقد انها تتصدى لقضايا المرأة من أجل مصالح شخصية .

حداشر : أن تثبت من خلال شهادة موقعة من الزوج انها لا تقوم بمسح حذاء الزوج .

● ● ●

وانصرف عنها وقد خلت مشاعره من أى شيء ،لا مرارة . ولا استخفاف . ولا حتى رثاء .



الزوجة النكدية

يشكو الـرجل من أن زوجته نكدية . وأن بيتـه قطعة من الجحيم . يعود الى بيته فتـداهمه الكآبة ، اذ يطالعه وجه زوجتـه الغاضبة الحاد النافر المتجاهل الصامت . بيت خال من الضحك والسرور ويغيب عنه التفاؤل مثلما تغيب الشمس عن بيت فتلتهمه الأمراض . يقول فى بيتى مرض اسمه النكد . ويرجع السبب كلـه الى زوجته ويدعى انه لا يفهم لماذا هى نكديـه لماذا تختفى الابتسامه من وجههـا معظم الوقت ويحل محلها الغضب والوعيد ؟

ولماذا هى لا تتكلم !! لماذا لا ترد !! والحقيقة ان هذا الزوج لا يعرف ان زوجته بصمتها الغـاضب انما هى تدعوه للكـلام . انها تصدر اليه رسالـة . حقيقة انها رسالـة سلبية ولكن هذه هى طـريقتها لانهما لم يتعودا معا ـ الزوج والزوجة ـ على طريقة اكثر ايجابية فى التفاهـم .

ويقلق الـزوج . يكتئب هـو ايضـا . ثم يغلي في داخلـه . ثم ينفجـر . وتشتعل النيران وبذلك تكـون الزوجة قد نجحت أي إستفـزته الى حد الخروج عن توازنه . لانها ضغطت على أهم شيء يـوجع رجولته وهو التجاهل . أي عدم الاعتراف بوجوده . أي اللامبالاه . ولكن هذه ليست حقيقة مشاعرها فهي تغلي ايضا لانها غاضبة . غاضبة من شيء ما . ولكنها لا تستطيع ان تتكلم . فهـذا هو طبعها ربما يمنعها كبريـاؤها . فهذا الـزوج يخطيء في حقها وهـو لا يدري انـه مخطيء وان اخطاءه ربما تكـون غير انسـانيـة . ربما هـو يتجاهلهـا عـاطفيـا ، ربما هـو يتجاهلها فـراشيا . . ربما بخله يزداد . ربما بقـاؤه خارج البيت يزداد بـدون داع حقيقي . ربما اصبح سلـوكـه مـريبـا .. ربما .. وربما .. وربما. وهناك عشرات الاحتمالات . ولكنه هو لا يـدري . أو هو غافل . أو هـو يعـرف ويتجـاهل . وهـو لا يـدري انها تتألم . أي انـه فقـد حساسيته ،. ولكنها لا تتكلم .

لا تفصح عن مشـاعـرها الغـاضبـة . ربما لانها امـور حساسـة ودقيقـة . ربما لان ذلك يـوجـع كـرامتهـا . ربما لانهما لم يعتـادا أن يتكلما. ولهذا فهي لاتملك الا هـذه الـوسيلة السلبيـة للتعبير . وهي في نفس الوقت وسيلة للعقـابة التجاهل . واذا بادل الـزوج زوجته صمتا بصمت وتجاهلا بتجاهل فإن ذلك يـزيد من حدة غضبها وربما تصل هي الى مرحلـة الثورة والانفجـار فتنتهز فـرصة أي مـوقف وان كان بعيدا من القضية الاساسية لتثير زوبعة . لقد استمر في الضغط عليها حتى دفعها للانفجار .

ضغط عليهـا بصمتـه وتجاهله ردا على صمتهـا وتجاهلهـا وتلك أسوأ النهايـات او اسوأ السيناريوهات . فهي ـ أي الـزوجة ـ تصمت وتتجاهل لتثير وتحرق اعصـابه وتهز كيانه وتـزلزل احساسه بـذاته ليسقط ثـائرا هـائجـا وربما محطما . وهنـا تهدأ الـزوجـة داخليـا ويسعدهـا سقوطه الثـائر حتى وان ازدادت الامور اشتعـالا وشجارا

تتطايـر فيه الإطباق وترتفع فيـه الاصوات . وهذا هـو شأن التخزين الانفعـالى للغضب . وتتراكم تـدريجيا مشـاعـر الغضب حتى يفيض الكيل وتتشقق الارض قاذفة بالحمم واللهب فتعم الحرائق .

وقد يستمـر هذا الاسلوب فى التعـامل والتفاعل سنـوات وسنوات، وهذا يـؤدى الى تآكل الاحاسيس الطيبـة ويقلل من رصيد الذكـريات الزوجية الحلـوة ويزيد من الرصيـد السلبى المر . ويعتادان على حياة خاليـة من التفاهم وخالية من السرور ويصبح البيت فعـلا قطعة من جحيم . فتنطـوى الزوجـة على نفسـها واهتمامـاتها الخاصة . ويهرب الزوج من البيت . وتتسـع هـوة كان من الممكن الا توجد لـو كان هناك اسلوب ايجابي للتفاهـم .

وتشخيصا للموقف نستطيع ان نقول :

● اننا أمام زوج لا يعرف ما يضير ويضايق ويؤلم زوجته .

● وهذا الزوج يتمادى فى غيه مع الوقت.

● وهو ايضا قد فقد حساسيته تجاه زوجته .

● واننـا امام زوجـة تكتم انفعالاتها وتخزن اشجـانها . وتحترق بالغضب .

● وهذه الـزوجة تلجأ الى اسلوب سلبى فى الـرد على زوجها وذلك باشاعة جو النكـد فى البيت لتحرم الزوج من نعمة الهدوء والاستقرار والسـلام ونعمة الاحسـاس بذاته .

●وتظل الزوجة تستفز زوجها بهذا الاسلوب حتى يثور .

● ولكنهما لا يتعلمان ابـدا بل يستمـران فى نفس اسلـوب الحيـاة الذى يهدد بعد ذلك وبعد سنوات امن واستقرار البيت .

●● واستمـرار حالـة الاستفزاز معنـاه تراجع المودة والـرحمة . وهناك الـف وسيلة تستطيع الـزوجة عن طـريقها استفـزاز زوجها . وكذلك هناك اكثر من الف طـريقة يستطيع بها الزوج استفزاز زوجته أهمها كما قلنا الصمت والتجاهل والـوجه الغاضب والكلمات اللاذعة

الساخرة الناقدة والجارحة او يتعمد اى منهما سلوكا يعرف انه يضايق الطرف الاخر . او قد يلجآن الى اسوأ انواع الاستفزاز وهى اثاره الغيرة والشك .

والعناد هو شكل من اشكال الاستفزاز .

والعناد هو نوع من انواع البغى والتمادى والتحدى . والتحدى هو اسوأ سلوك زوجى . والتحدى يخلق عداوة والعداوة تؤدى الى العدوانية . وبذلك يحدث تصلب وتخشب وتحجر وتفتقد المرونة وتضيع روح التسامح والتواضع والتساهل والتنازل .

واستمرار الزوجين فى العناد معناه عدم النضج او معناه ان احدهما يعانى الما نفسيا حقيقيا وان الطرف الاخر يتجاهل عن عمد أو عن غير عمد هذا الالم .

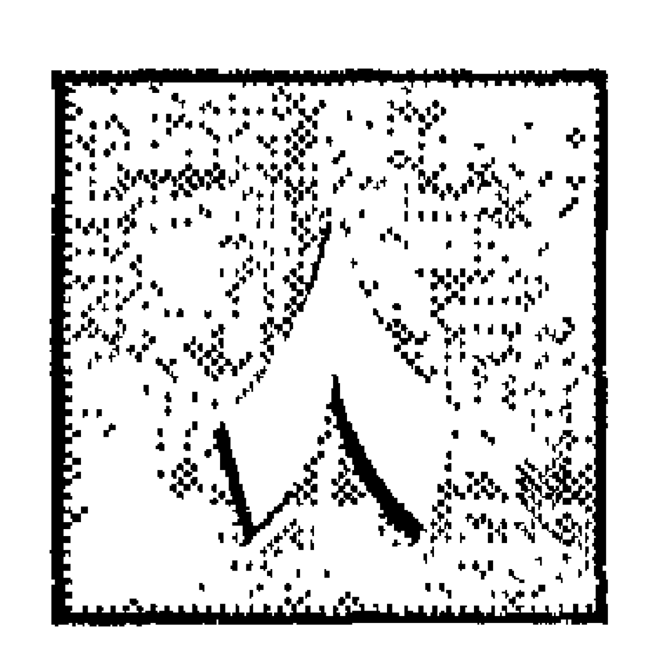
وهذا معناه اننا امام مشكلة زواجية تحتاج الى رعاية .. فكلاهما يعانى . وكلاهما غاضب . وكلاهما خائف . وكل منهما يتهم الاخر ويحمله النصيب الاكبر من المسئولية ويرى نفسه ضحية . أى لا يوجد استبصار . ولا يوجد ايضا بصيرة .

والخطأ الاكبر الذى يقع فيه الزوجان ان يجعلا المشاكل تتراكم بدون مواجهة . بدون توضيح . بدون الحوار بصوت عال هادىء . بدون ان يواجه كل منهما الاخر باخطائه اولا بأول . بدون ان يعبر كل منهما عن قلقه ومخاوفه وتوقعاته وآلامه وهمومه .. يجب ان يرفع كل منهما شكواه الى الاخر بكلمات واضحة وصوت مسموع ونبرة ودود ويجب الاستمرار والمثابرة والالحاح فى عرض الشكوى حتى تصل الى ضمير الطرف الاخر ، قد يكون تجاهل الزوج لمتاعب الزوجة ليس عن قصد أو سوء نية أو خبث . ولكن لانه لا يعرف . لا يعلم . لانها لم تتحدث اليه . لانها لم تعبر بشكل مباشر . ربما لانها تعتقد انه يجب ان يراعى مشاعرها دون ان تحتاج هى ان تشير له الى ذلك . ربما تود هى ان يكون هو حساسا بالدرجة الكافية ربما تتمنى هى

ان يترفع هو عن افعال وسلوكيات تضايقها وتحرجها . وهذا جميل وحقيقى . جميل ان يكون لديها هذه التصورات وهذه الامنيات المثالية . ولكن الامر يحتاج ايضا الى تنبيه رقيق .. اشارة مهذبة .. تلميح راق . كلمات تشبع ذوقا وحياء دون مباشرة .ولا مانع وخاصة فى الامور الهامة والحساسه والدقيقة من المواجهة المباشرة والحوار الموضوعى . فهذا حق كل منهما على الاخر . وهذا هو واجب كل منهما تجاه الاخر . وهذا هو اصل المعنى فى المودة والرحمة لأن الزوجين اللذين وصلا إلى هذه المرحلة من الاستفزاز المتبادل يكون قد غاب عنهما تماما المعنى الحقيقى للمودة والرحمة .

والحقيقة ان أى انسان مقدم على الزواج ـــ رجلا أو إمراة ـ يجب ان يكون متفهما وبعمق وبقلبه وعقله وروحه المعانى الحقيقية لأعظم كلمتين : المودة والرحمة .

●●●



المودة .. والرحمة

●● يقال ان الـزواج سترة للبنت . ولكنه فى الحقيقـة سترة للرجل أكثر . والرجل بدون زواج ضائع . والرجل بدون زوجة ناقص . وحين يمـوت الـزوج يستمر البيت قـائما . تظل الـزوجـة ويظل الاولاد من حـولها ثم يتفـرقـون ولكنهم يروحـون ويجيئـون . ولكن اذا مـاتت الزوجـة فإن البيت ينهار . والزوج وحـده لا يستطيع ان يقيم بيتا ولا يستطيع ان يعمر سكنـا . ينطفىء البيت ويتفرق الابناء . وهذا هـو ما جاء ذكـره بالقرآن الكـريم تحديدا ونصا : ﴿ ومن آيـاته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ﴾ (٢١ ـ الروم) . اذن الزوجة هى السكن . والـزوج يسكن لدى الـزوجة اذن الـزوج هو سـاكن وليس صاحب السكن حتى وان كان يمتلكـه . حقيقة هو اشتراه أو استأجره بماله ومسجل باسمه ولكنه مجرد جدران وسقف . السكن شىء ابعد

واعمق من هذا . السكن معنى . السكن هـو سكينة النفس وطمانينتها واستقـرارها . السكن هـو الحماية والأمن والسـلام والراحـة والظل والارتواء والشبع والسرور . السكن قيمة معنويـة وليس قيمة مادية . واذا ذهبت الزوجة ذهب السكـن حتى وان كان الزوج يعيش فى قصر . وهـو سكن ليس مجانيا . يجب ان يـدفع الزوج . ولأن السكن قيمـة معنوية فإن الزوج يجب أن يدفع فيـه أشياء معنوية . وهو أن يتبادل المودة والرحمة مـع الزوجة . فهـذا السكن يقـام على المودة والرحمة . المودة والـرحمة هما الأسـاس والهيكل والمحتـوى والهواء . وبغيـاب المودة والرحمة ينهار السكن . فلماذا جعلت الزوجة هى السكن ؟

الإجابـة تأتي من نفس الآية الكريمة « ومن آيـاته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجـاً لتسكنـوا إليهـا وجعل بينكم مـودة ورحمة » (٢١ ـ الروم) : الآيـة تقول : خلق لكم مـن أنفسكم أزواجاً . إنتبـه إلى كلمة أزواجـاً ولم يقل نسـاء . أى أن السكن لا يتحقق إلا من خـلال علاقـة زواج . لا تحقق إلا إذا تحولت المرأة إلى زوجـة . إذن الأصل فى الحيـاة أن يكون هناك زواج . رجل مؤهل لأن يكـون زوجاً وإمراة مؤهلة لأن تكون زوجـة . يذهب الـرجل إلى المرأة لتصبح زوجته ليسكـن إليها . فإذا لم تكن زوجتـه فإنه من المستحيل أن تصبح سكنـاً حقيقياً لـه . ولذلك لاتصح العلاقة بين الـرجل والمرأة إلا بالزواج . ولايمكن للرجل أن ينعم بالسكن إلا من خلال الزواج .

●● ونكمل الآيـة الكـريمـة : وجعل بينكم مـودة ورحمة . جـاء السكن سابقا على المودة والرحمة . إذ لابد للانسان أن يسكن أولاً . أن يختار المرأة الصـالحة ويتقدم إليها ويتـزوجها ليتحقق السكن . فإذا قـام السكن جُعلت المودة والـرحمة . إذن لايمكن أن تقـوم المودة والـرحمة إلا من خلال وفى إطـار سكن أى من خلال وفى إطـار زواج . والكلمات الربـانية البليغـة تقول « وجعل بينكم » أى أن الله هـو الذى جعل . أى لابد أن يكـون . فطالما أنه زواج فلابـد أن يستمر على المودة

والــرحمة . هــذا ضمان من الله لكل من أراد الــزواج . فإذا أردت أن تسكن فلابد أن تتزوج . وإذا تزوجت فلابد أن تنعم با لموده والرحمة . وبالتالى تصبح الزوجة هى أصل المودة وهى أصل الرحمة . لانها هى التى وفرت السكن . فلادعامة لهذا السكن إلا با لموده والرحمة .

وتأمل الكلمة الـربانية الدقيقـة « بينكم » . لم يقل عز وجل : جعل لكم وإنما بينكم . وهى تعنى أنها مسألة تبادليـة . أى يتبادلها الزوج والـزوجـة أى أن المودة والرحمة لا تتحققـان إلا من الطـرفين . أى لا يمكن أن تكـون من طـرف واحـد . لم يجعل الله الـرجل ودوداً رحيماً وحده . ولم يجعل المرأة ودوداً رحيمة وحدهـا . هذا لايكفى . إنما لابد من الأثنين معاً . ويتجه الرجل نحـو المرأة طمعاً فى السكن . ومن الذى يسكن ؟ ليس الجسـد . وإنما الـروح .فـروح الـرجل تسكن إلى روح المرأة . ثم يطمع فى المودة والرحمة . موده المرأة ورحمتها . فتهبها له . أى أن المرأة تسبق الرجل فى مودتها ورحمتهـا . أى هى الأساس وهى الأصل . فإذا تلقى مودتها ورحمتها بادلها المودة والرحمة .

هـذا هو القـانـون الذى وضعـه الله ، وهذا هـو النظـام وهذا هــو النامـوس الطبيعى. هذا هـو أصل الحياة . خُلق أدم فى البـداية . ولكن لكى تكون هناك حياة متكاملـة مستمرة خلق له من نفسه زوجته . أى أخذ مـن روحه ليخلق له زوجتـه . إذن زوجته هى بعـض روحه . إذن الزواج هـو عودة للاتصال بـروحه . إذن الزواج هـو التحام شقين أو جـزءين أو نصفين إنفصـلا مـؤقتـاً ليعـاودا الاتصــال . والتـواصل والالتحام بقوة جذب إلهية .

اذن الـرجل هو الـذى يحن الى الزواج يحن الى بعض روحــه . تحن روحه إلى هـذا الجزء من روحه الـذى انفصل عنه . الـزواج هو حنين الــروح الى الروح . أو حنين الـروح إلى ذاتها . وهذه هى حكمــة ان الله خلق المرأة من نفس الـرجل أى من روحه . خلق الحيـاة فى صورة آدم فى البدايـة . ثم خلق حياة من حياة .. خلق حـواء من آدم . خلقها ليس

خلقا مجردا لتتواجد بذاتها ولكن خلقها لتصبح زوجة آدم . خلقت لتكون زوجة . ولا يمكن ان تكون هناك حياة لبشر الا من خلالها . ولذلك هى الاصل . الاصل فى السكن . والاصل فى المودة والرحمة .

ومن اسماء الله الحسنى انه الودود وهو الرحمن وهو الرحيم . إذن المودة والرحمة هما من بعض صفاته سبحانه وتعالى . ولذلك لا حدود لمعانى المودة والرحمة وهو شىء يفوق الحب . شىء فوق الحب بمراحل كثيرة . كالمسافة بين الارض والسماء .كالفرق بين الثرى والثريا .

والمودة مطلوبة فى السراء والرحمة مطلوبة فى الضراء . وهذه هى حكمة اجتماع الكلمتين فى أمر الزواج . وهذا اشارة الى ان الزوجين سيواجهان صعوبات فى الحياة معا . هناك ايام سهله وأيام صعبه . وأيام سارة وايام محزنه . أيام يسيره وأيام عسيرة . المودة مطلوبة فى الأيام السهلة السارة اليسيرة . والرحمة مطلوبة فى الايام الصعبة والمحزنة والعسيرة .

والمودة هى اللين والبشاشة والمؤانسة والبساطة والتواضع والصفاء والرقة والالفة والتآلف ، واظهار الميل والرغبة والانجذاب ، والتعبير عن الاشتياق وفى ذلك إكتمال السرور والانشراح والبهجة والنشوى .

أما الرحمة فهى التسامح والمغفرة.وسعة الصدر والتفهم والتنازل والعطف والشفقة والاحتواء والحماية والصبر وكظم الغيظ والسيطرة على الغضب والابتعاد كلية عن القسوة والعنف والعطاء بلا حدود والعطاء بدون مقابل والتحمل والسمو والرفعة والتجرد تماما من الانانية والتعالى والغرور والنرجسية . وهى معان تعلو على المودة وتؤكد قمة التحام الروح مع الروح وقمة الترابط والابدى الخالد .

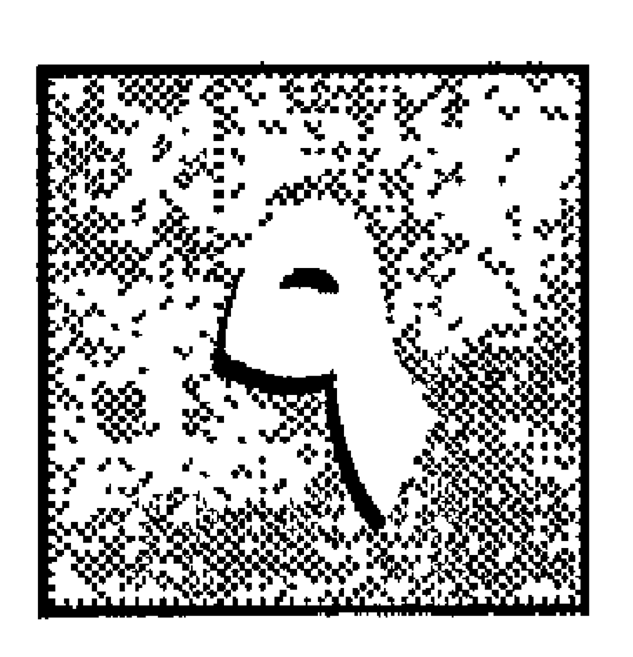
المرأة مؤهلة بحكم تكوينها لتجسيد كل هذه المعانى الاصيلة . وبذلك فهى السكن الحقيقى . ولا تصلح للسكن الا من كانت مؤهله

لـذلك . فإذا كانت هــى السكن فهى المودة والرحمة . وهى قــادرة على تحريك قـدرة الـرجل على المودة والـرحمة . فـالبـدايـة من عنـدهـا . والاستجابة من عند الرجل ليبادلها مودة بمودة ورحمة برحمة .

ويظل الزواج باقيا ومستمـرا ما استمرت المودة والرحمة . ولحظة الطـلاق هى لحظة الجفـاف الكامـل للمودة والـرحمة وانتزاعهـا من القلوب .

وهنـاك قلوب كـالحجـر أو أشد قســوة، وهى قلـوب لا تصلح ان تكون مستقرا لأى مودة ورحمة ، وبالتالى فهى لا تصلح للزواج . واذا تزوجت فهو زواج تعس ولابد ان ينتهى الى طلاق .

●●الزواج يحتاج الى قلوب تفيض با لمودة والرحمة .



لعبة الغيرة والشك

●● من هموم الرجل لعبة الغيرة والشك التى قد تلعبها امرأته . وهى لعبة لأنه ليس لها أى أساس جدى . أى ليست حقيقية . ولكنها لعبة خطرة ومدمرة ولابد أن تنفجر فى النهاية فى وجه الزوجة وحدها لتقضى على الأمان والطمأنينة فى علاقتها بزوجها ، أى تقضى على الحب .

●● تتحرك المرأة بوعى وبفهم وبقصد أو بحس غريزى تلقائى . إذا تحركت بوعى وفهم وقصد فهى سيئة النية . وإذا تحركت بتلقائيتها فهذه هى فطرة المرأة . والمرأة تجيد هذه اللعبة سواء قصدت أم لم تقصد . والأمر لايحتاج منها إلى مهارة كبيرة .

●● أى امراة ستصيب الهدف وتجرح الرجل لينزف قلبه ويفرغ من الحب . فهذه هى أسهل طريقة لإصابة رجل . لأن الاصابة تتجه

إلى مركـز رجولته ومحور ذكورتـه وكينونة ذاتـه . إذن لابد أن تحدث هزاً عنيفاً فى كيانه وكأنها زلزلة الساعة .

●● والأمـر هنـا يختلف عن الغيرة الطبيعيـة التى يستشعـرهـا الرجل فى المواقف العادية التى تعبر بحياته مع امراته . فالغيرة شعور صحى وجميل بالـرغم من أنه مـؤلم بعض الشىء . وغيرة الرجل هى غيرة الراعى والمسئول . وهى أمـر داخل فى نسيج الحب . حب الزوجة وحمايتهـا . والغيرة الطبيعية تحمل فى طيـاتها احترامـاً وتقديـراً لهذه الـزوجة . فهى تستحق أن يُغـار عليهـا . فهى شىء ثمين وقيم . وهى شىء جدير بالحفـاظ عليه وحمايته . إذن الغيره اعلاء من شأن المرأة وتعبير عن سمو مكانتها وقدسيتها . والرجل الحقيقى هو الذى يغير . والزوج الحقيقى هو الذى يغير . والمحب الحقيقى هو الذى يغير .

والغيره تنطلق من مـركـز احسـاس الـرجل بـرجـولتـه ودوره ومسئـوليته . تنطلق من مـركـز قيمه واخـلاقه واعتـزازه بهذه القيم تنطلق من حرصـه على حيـاته الاسرية ورغبته المخلصـة فى استقرارها وثباتها واستمرارها .

الـرجل غير الحقيقى لا يغير . ومعنى الرجـولة غير الحقيقيـة انها اضطـراب فى احسـاس الرجـل بذكـورتـه تجاه الانثى . واضطـراب احسـاسـه بدوره كرجل . واضطراب احساسه با لمسئولية .

وايضـا اذا فقد الـرجل احترامـه للمـرأة فـانه لا يغير عليهـا . واذا تقطعت كل الصـلات الانسانيـة والروحيـة بينهما فانـه يفقد تمامـا مشاعر الغيرة لانها حينئـذ لا تعنيه هذه المرأة ولا يهمه امـرها ويفقد احساسه با لمسئولية تجاهها فهى امرأة غير محترمة ، امرأة رخيصة .

●● والغيره الطبيعيـة الصحيـة هى خليط مـن مشـاعـر العـزة والكرامـة والحمية والمسئـولية والـدفاع والـذود . هى مشـاعـر القوة والحزم والشجـاعـة والاقدام والتحـدى ، هى الطـاقـة التى تنبعث فى الجسم والروح فيشعـر الانسان بذاتـه الرجوليـة الذكريـة الحقيقية

وتدفعه الى ان يكون متأهبا مستعدا . وتفوح منه رائحة الرجولة فتشمها امرأته ومن حوله فتنتشى بها امرأته وتفر الذئاب من امامه . وتبدو فى عينيه امارات التصميم والصرامه فيبدو فى عينى امرأته فى أجمل صورة بينما يفزع من شكله من كان يحوم حول حماه .

●● المرأه الصالحة لا تتعمد اثارة غيرة زوجها .

●●ولكن هناك امرأه تتعمد اثارة غير زوجها بل قد تدفعها عقدها إلى إثارة شكوكه ، والشكوك معناها انها تزرع فى يقينه بذورا خبيثة سامة تثير قلقه وخوفه وغضبه وتقوى لديه الاحتمال بان الخطر المحدق ليس خارجيا فقط وانما نابع من ذات امرأته ايضا .

وهذه هى الغيره السيئة الضارة والتى تكون المرأة مسئولة عنها بسلوكها غير السوى أو سلوكها المستهتر أو سلوكها المتعمد منه إثارة غيرة الرجل .

الغيرة فى هذه الاحوال هى مزيج من القلق والخوف والغضب والالم . وسرعان ما تتداخل معها مشاعر الحقد والكراهية والعدوان والرغبة فى الايذاء والانتقام . انها مزيج من اسوأ المشاعر المدمرة .

وحينما تنتاب الرجل مثل هذه المشاعر يبدأ العد التنازلى فى مشاعره الايجابية تجاه زوجته . تنهار الطوبة الاولى فى صرح العلاقة، تبدأ السوسة الاولى فى نخر العمود الفقرى للعلاقة الزوجية . وهو وباء لا يمكن ايقافه ، تنهار الطوبة الأولى وتعقبها الطوبة الثانية .. وهكذا حتى ينهار الصرح كله .

اذا تم زرع الشك فى قلب وضمير الزوج فلا يمكن لأى قوة ان تمحوه ولابد أن يؤدى حتما الى موت كل المشاعر الطيبة من جانبه تجاه امراته ، ولابد ان ينقلب الامر فى النهاية الى حقد ومرارة حتى وان عاش معها حتى نهاية عمره .

والمرأة هى المسئولة عن زرع بذور الشك الخبيثة السامة .

لماذا ؟ ما الذى يدفع المرأة الى هذا السلوك الخطر ..؟

●انــه اولا الاحساس الشــديــد بالنقص . النقص الانثــوى . وهى مشكلــة تعــانى منهــا منــذ طفــولتهــا حيث النبــذ والاهمال وتفضيل الشقيقة الاجمل . وتظل تلازمها مشــاعر الخوف من رفض الرجل لها وعدم اقبــاله عليهــا . مشاعر دفينــة لا تدرى عنهــا شيئا . وتخاف ان يمل الــزوج ويضجــر ويهرب الى اخــرى . اذن لابــد ان تثبت لــه انها مرغــوبة . وانــه اذا لم يهتم بها فان هنــاك رجالا آخريــن يسعدهم ان يقومــوا با لمهمة تدفعهــا عقدة النقص الانثوى ان تبــدى اهتماما زائدا بالرجال وان تستــدرجهم الى الاهتمام الخاص بها ولابد ان يكون ذلك على مــرأى ومسمع من الــزوج حتى يحدث تأثيره المدوى ويــزلــزلــه ويحركه ويذكى داخلــه الحب والاهتمام . وتتعمد هذه المرأة المسكينة مواقف بعينها وتــؤكدها وكأنها تروى بــذور الشك التى زرعتها لتظل دائما حية ويقظة .

ويقلق الزوج . يخاف . يضطرب . وهو قلــق لا يزول ابدا . ويبدى اهتماما بــزوجته . وكلما اقبل واهتم امعنت الزوجة فى سلــوكها المثير لشكه وغيرتــه فلقد نجحت . ان قلق الــزوج ثم اقباله الــزائد واهتمامه المبالغ فيــه عزز لديها هــذا السلوك ودغمه وتحترق اعصــاب الزوج . وكلما ازداد احتراقا ازداد قلقا و أمعنت هى فى سلــوكها وتظن الزوجة انها ملكت زوجهــا وانها سيطرت عليــه . ولكن الحقيقــة عكس ذلك ان اهتمامه بها فى البــداية هــو اهتمام القلق والخوف . الخوف من الفقد. الــرغبة المقلقــة فى أن يثبت لنفسه أنــه الــرجل الأول والأوحد فى حيــاة امرأته ، وأنه المسيطر على عقلهــا وقلبها . وتعطيه المرأة هذا الأحساس فيسعــد ويزول عنــه بعض قلقه . ولكنهــا تعاود اللعبــة مرة أخــرى . فيقلق . حتى يفقد الثقــة بها تماماً . حتى يــراها امــراة لاتستحق حبه واحترامه . حتى يــراها معــذبته ومقلقتــه . وحينئذ يكــون قد اكتشف اللعبة . فيلعب هــو لعبة مضادة . لعبة مفــروضــة عليه . لعبــة ليس له دخل أو إرادة فى تــوجيهها إنــه يُظهــر حبــه واهتمامه ولكنــه فى نفس

الوقت وبالوسائل الذاتية يعالج جروحه وآلامه وذلك بأن يميت مشاعره تجاهها . يكوى خلايا الحب لتموت . ويمشى وفق خطة يرسمها له الكومبيوتر الداخلى . خطوة خطوة . قطرة قطرة . حتى يصل إلى آخر مرحلة وهى أن يفقد تماماً مشاعر الغيرة تصبح المرأة لاشىء بالنسبة له . تصبح مدام صفر . حينئذ يكون قد كسب الجولة الأخيرة تماماً والتى تنهى اللعبة أو بمعنى آخر تنهى العلاقة .

●● والحقيقة أن المرأة ضحية . والرجل ضحية . المرأة ضحية عدم الثقة بالنفس . والرجل ضحية امرأة معدومة الثقة بنفسها . بالرغم من أنها تحبه وأنه يحبها . بالرغم من أنها مخلصة له وهو مخلص لها . بالرغم من أنه يمنحها الثقة من خلال حبه وأنه يراها فعلاً جميلة ومشبعة . بالرغم من أنه يسعد بالحياة معها . ولكنها أبداً لا تطمئن ولا تستريح وتريد المزيد .

إنه الجوع للثقة . الجوع للاهتمام . الجوع للإحساس بأنوثتها المذبوحة المنقوصة .والرجل معذور . إنها تذبح رجولته . تهد كَيانه الأساسى . تمحق ذاته . إنها أيضا تهز ثقته بنفسه من خلال رجل آخر . ويظل شبح الرجل الآخر يهدده فى كل وقت . فى منامه وفى يقظته. ويظل يقارن بين نفسه والآخرين . من أنا فى وسط الرجال ؟ فى أى شىء يتفوق هذا الرجل علىّ ؟ أى شىء أعجبها فى هذا الرجل ؟ كل هذه التساؤلات والأفكار مدمرة محطمة . وحين يقارن نفسه برجال آخرين يكون قد وصل إلى درجة كبيرة من افتقاد الثقة بنفسه .

ومع هذا الشعور المضنى بفقد الثقة تبدأ أولى درجات الكراهية لامرأته .. لايكره رجل امرأته إلا لهذا السبب . هناك أشياء كثيرة تفسد العلاقة بين الزوج والزوجة وقد تؤدى فى النهاية إلى الانفصال ولكنه لايكرهها . الرجل يكره المرأة فى حالة واحدة فقط ، وذلك إذا هزت ثقته بنفسه عن طريق رجل آخر لانها تكون قد ذبحت رجولته . ولاشىء يذبح رجولة رجل إلا رجل آخر يُستخدم عن طريق امرأة مريضة أو

امرأة سيئة .

● ومازلنا نبحث عن الأسباب التى تدفع امرأة عمداً أن تثير شكوك زوجها . السبب الثانى هو أنها إمرأة سيئة بالفعل . سيئة الطباع . وسيئة المشاعر . وسيئة التفكير إنها إمرأة خبيثة . وزرع الشك فى نفس الزوج هو نوع من العدوان السلبى . عدوان الضعيف . عدوان المقهور . وقد يكون الرجل هو المسئول . فهو الذى قهرها . أو هو الذى أهانها واعتدى عليها . وهى تشعر بالعجز أمامه . لاحول لها ولا قوة ولاحيلة لها . ولاتدرى كيف ترد عدوانه . وبفطرتها تعرف أن أخطر مايجرح كبرياء رجل ويهده التلويح برجل آخر . وقد يكون السبب أن الرجل قد إهتم بامرأة آخرى . فتستخدم إمرأته لعبة الشك لعقابه وتهذيبه وتعليمه وإسترجاعه . وتظن بذلك انها ستسترجعه فعلا . ولكن الحقيقة عكس ذلك . لان بداية النهاية هى نزع الطمأنينة . وإذا فقد الرجل ثقته با لمرأة فإنه لا يستطيع ان يسترجعها أبدا مهما فعلت هذه المرأة .

الرجل لا يغفر للمرأة دخول رجل آخر فى حياتها . أو حتى التلويح برجل آخر . والامران يستويان عند الرجل سواء كان هناك رجل فعلى فى حياة امرأته أو أنها لوحت بهذا الرجل ، أى أنها تعمدت إثارة شكوكه دون ان يكون هناك ظل حقيقى . إذ أن الرجل الذى يعرف ان إمراته تستخدم سلاح الشك يتيقن من شىء آخر وهو أنها خبيثة . سيئة . رديئة المعدن ، وانها عدوانية لانها اختارت اسوأ وأفظع الطرق لعقابه ، ان الرجل يقبل من المرأة أى شىء . ويغفر لها أى شىء الا أن تخونه أو تهدد بخيانته أو تلعب لعبة الشك . ولعبة الشك معناها أنها إمرأة لم تخطىء ولكنها توحى لزوجها بذلك . وفى الحالة الاولى هى آثمه وفى الحالة الثانية هى خبيثة . والرجل ينفض قلبه من كلتا المرأتين .

● أما إذا بحثنا عن سبب ثالث يدفع المرأة الى لعبة الغيرة والشك

فانه لا يكـون الا سطحية المرأة وضحالتها وتفاهتها . فـا لمرأة الذكية الواعية العاقلة المتزنـة الجادة العميقة فى وجدانها وفكرها لا تقدم على مثل هـذه اللعبـة الخطـرة لانها تكـون اكبر واسمى من ذلك ولانها تعرف مدى خطورة هذه اللعبة .

● السبب الرابع هو المرأة المستهترة المتسيبة الى حد ما . والتى لها ماض غير نظيف تماما . أى أن صفحتها لم تكن بيضاء بياضا ناصعا ولهذا يسهل على المرأة أن تنـدفع الى هـذا السلـوك الطـائش الاحمق فالامـر يكون سهـلا عليها . ولقـد علمتها تجاربها السـابقة أن أسـهل طريقة لحرق قلب رجل هو الاستعانـه برجل آخر . إنها إمرأة مدربة . وهناك فـرق بين اللعب والاثم الحقيقى . فا لمرأة الآثمـة تخفى إثمها . أمـا المرأة التى تلعب لعبـة الشك والغيرة فانها تتعمـد سلـوكا معينـا يوحى بـان هناك علاقـة أو احتمال علاقة أو مشروع عـلاقة مع رجل آخر أو أن رجلاً آخر يهتم بها إهتماما خاصا .

● السبب الخامس وهـو سبب عـام : انتقـام المرأة لأى سبب من الاسباب من الرجل لعبة الشك والغيرة هى احدى وسـائل انتقام المرأة من الـرجل . وهـو سبب قـد ينسحب على كل الاسبـاب السـابقـة أى متـداخل معهـا . ولكن وبشكل عام أيضـا فإن لعبـة الغيرة والشك لا تلعبها إلا امرأة مريضة أى معقدة نفسيا فاقدة الثقة بقدراتها الأنثوية أو غير واثقـة بحب واهتمام زوجهـا لها أو امـرأة ضعيفـة أو امـرأة خبيثة. أى لابد أن يكون هناك قـدر من السوء فى شخصية هذه المرأة . وهى بالقطع أيضـا قصيرة النظر ولا تـدرى أنها بهذه اللعبة تكون قد فقدت رجلها تمامـا . حتى وإن استمر فى الحياة معها فـإنها تكون قد فقدت روحه ..

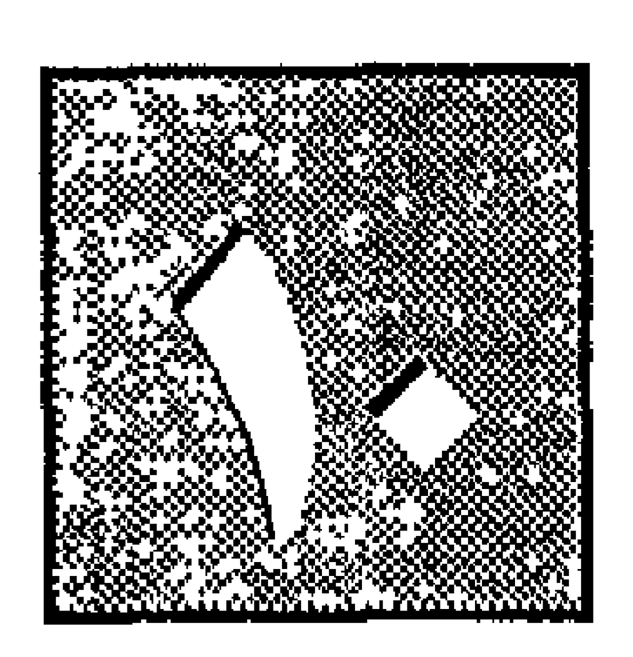
●● هذه هى أخطـر هموم الرجل . والأمـر يختلف هنا عن الغيرة التى يكون سببهـا إضطراب شخصيـة الرجل . وأيضـاً الأمر يختلف عن الشك الـذى يكون لـه رصيـد وظل من الواقع والحقيقـة أى حين

تكون المرأة آثمة فعلاً . إلا أن النهاية واحدة سواء إذا كانت المرأة آثمة فعلاً أو إذا كانت تلعب لعبة الشك .

●● ولعل هناك سبباً آخر لابد من أن نذكره وإن كان بعيداً عن أن يُقبل بسهولة لأنه مرتبط باعمق أعماق اللاشعور . وهو أن المرأة تلعب هذه اللعبة كنوع من الانتحار . أى أنها تنتحر . وإنتحارها يكون عن طريق تدمير الحب بينها وبين زوجها لكى تفقد فى النهاية زوجها . إنه نوع من عقاب الذات . بل أن الأمر قد يصل إلى أن تعترف المرأة إعترافات تفصيلية عن خيانات صدرت عنها ولكنها فى الحقيقة لم تحدث . أى أنها لم تخن فعلاً زوجها . ولكنها تعترف . تعترف باشياء لم تقترفها . وهذا عرض من أعراض المرض العقلى . قد يكون إكتئاباً . وقد يكون بداية الفصام وقد يكون أحد أعراض إضطراب الشخصية . إنها قوة تدميرية هائلة تستولى على المرأة لتحطيم كل شىء. وهى تحطم ذاتها قبل أن تحطم أى شىء آخر . أو هى تستخدم ذاتها لتحطيم كل شىء . وأى شىء أهم لدى المرأة أكثر من حبها وزوجها وإستقرارها ؟؟ وأى عقاب أقسى من تدمير وتحطيم وخراب البيت .. ؟

●● ولجوء المرأة المريضة بعقلها الباطن إلى هذه الوسيلة يدلنا على أن أخطر مايهدد العلاقة بين أثنين هو الشك وخاصة شك الرجل فى المرأة .

●● إنها من أخطر هموم الرجل وعذاباته وخاصة إذا كان رجلاً حقيقياً .



رجل خانته زوجته

●● تختلف ردود أفعال الرجال الذين يتيقنون من خيانة زوجاتهم . الأمر يختلف من رجل إلى رجل حسب ظروف تنشئته وتربيته وثقافته وتعليمه والبيئة التى تربى وعاش فيها والمجتمع الذى نما فى احضانه والحقبة الزمنية التى عاش فيها والثقافة والمفاهيم السائدة وقتها . يختلف الامر حسب موقف المجتمع من علاقه الرجل بالمرأة وموقفه من الزواج وموقفه ايضا من القيم والاخلاق ومدى التزامه الدينى . اشياء كثيره جدا تحدد رد فعل الرجل حين يتيقن من خيانه زوجته .

●● قد يرفض عقله التصديق رغم أن الادلة دامغه وقد يتقبل الأمر وهو رابط الجأش . قد يندفع ويرتكب جريمة وقد يعالج الأمر بهدوء وحكمة . قد ينهى حياته الزوجية فورا وقد يعجز عن ذلك

ويستمر ، وقد يستمر بوحى من ارادته وتفهمه . قد يرضى ان يعيش معها رغم انعدام ثقته بها وتوقعه لاستمرار خيانتها له وقد يعالج اسباب خيانتها ويحدد مسئوليته ليبدأ معا صفحه جديدة وليتحاشا تكرار ماحدث .

●● قد تكون خيانة زوجته غير مفاجئة له وقد تقع على رأسه وقع الصاعقة لأنه لم يكن يتوقعها .

●● الأمر يختلف من رجل إلى رجل . والنظرة إلى الخيانة ومعالجتها تختلف حسب البيئة والمجتمع والثقافة السائدة . تختلف حسب درجة التمسك الدينى .

●● وإلتزاماً بالنص القرآنى الكريم فإننا نجد أن الزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وأن الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة . وأن الخبيثين للخبيثات ، والخبيثات للخبيثين . إلا أنها جريمة خطيرة من الصعب إثباتها أو أن الإسلام الحنيف أوجد صعوبات لإثباتها القصد منها التدقيق حتى نصل إلى اليقين الكامل حتى لايكون قذف المحصنات أمراً سهلاً ومشاعاً نظراً للعواقب الوخيمة والسيئة جداً التى تنتج عن الأقتناع بوقوع هذه الجريمة وكذلك سهولة الأنزلاق فى توجيه الأتهامات والتى قد تكون باطلة عن سوء قصد ونية بغية الإضرار بالأبرياء . ولهذا يجيء نص قرآنى آخر كريم يقول إن بعض الظن اثم . وهو مايؤكده أيضا حديث الأفك .

●● ولكننا نحن بصدد إثم حقيقى قد وقع وتيقن منه الزوج سواء إذا كان يقيناً شرعياً إسلاميا أو يقيناً إعتمد فيه على أدلة غير دقيقة . المهم عندنا أنه وصل إلى مرحلة اليقين الكامل بوقوع الخيانة الزوجية .

●● الرجل السوى يتحطم تماماً وخاصة إذا كان من بيئة سوية تلتزم دينياً ولها قيمها الأخلاقية الرفيعة . وذلك لأن مثل هذه البيئة ترى الزواج علاقة مقدسة وترى الوفاء والإخلاص

كأساس لهذه العلاقة .

وتشكل الخيانة تهديداً خطيراً لاستقرار المجتمع وإستمراره كما تقوض بقية القيم الأخلاقية الأخرى كالصدق والأمانة والشرف وأيضاً القيم الأنسانية التى تربط بين الناس كالرحمة والإيثار والتعاون . وهذا الرجل الذى جاء من هذه البيئة يعيش الزواج بكل أحاسيسه ويهب حياته للأسرة ويخلص تماماً لزوجته . ويرى أن السعاده الحقيقية لاتكون إلا من خلال حياة الأسرة . وهو يرى الحب من خلال معناه الأسمى الحقيقي وهو المودة والرحمة . ولهذا فهو يبذل قصارى جهده مودة ورحمة لأسرته . ويتحقق مثل هذا الرجل من كيانه الرجولى من خلال علاقته بإمرأته . أى أن الزواج يؤكد له قمة إكتمال ذاتيته الرجولية ، وتلك الأحاسيس الرائعة التى يستشعرها الرجل من قوة وزهو وطمأنينة وثقة بالنفس .

إن أسرته وزوجته تتيح له أن يقول أنا رجل هذا إحساس محورى ومركزى تدور حوله بقية أحاسيسه ومشاعره الإيجابية وإقباله على العمل وإقباله على الحياة وحماسه ونشاطه وتدفق طاقته وحيويته، ويتولد عن هذا إحساسه الطبيعى بالميل الغريزى ناحية زوجته فيقبل عليها بشهية وحب ويكتمل لديه هذا الإحساس باستجابة زوجته له وإقبالها عليه ، وإستمتاعها بنفس القدر معه . ولايكون فقط إحساساً جسدياً شهوانياً ولكن ثمة أحساسيس متكاملة ينبض بها الجسد والروح معاً فيشعران معاً بالسعادة . والسعادة هى لذه روحية شاملة تختلف عن لذة الجسد .

●● مع خيانة الزوجة لهذا الرجل بالذات من هذه البيئة بالذات ينهار كل شيء ، أو تنهار هذه المعانى . أو ينهار احساسه بذاته الرجولية وينهار إحساسه بتكامل الأحساس فى العلاقة الزوجية . ينهار إحساسه بمعنى الاسرة وبالحب الاسرى أى بالمودة والرحمة . فلا مودة ولا رحمة فى الخيانة . بل الخيانه هى المقابل العكسى تماما

للمودة والرحمة . ولم تعد الزوجة هى السكن الخاص له وحده بل هى سكن مشاع مباح . ولم تعد الزوجة هى حرثه الذى يأتيه متفردا متميزا وانما تصبح حرثا عموميا تطوؤه كل قدم .

انه انهيار للمعنى . المعنى فى كل شىء طيب فى الحياة . ولذلك ينهار من هول الصدمة وعدم التصديق . ليس مهما ان نعرف بعد ذلك موقفه وسلوكه المستقبلى والخطوات التى سيتخذها للتعامل مع هذا الموقف . انما يهمنا فقط التعرف على رد الفعل الذى يكشف عن التكوين النفسى للرجل والذى تشكل من خلال بيئة معينة . لان هذا يكشف عن الموقف الدينى الاخلاقى الفلسفى الانسانى من موضوع الزواج ومن موضوع علاقة الرجل با لمرأة .

لا يهمنا ايضا لماذا خانت هذه المرأة . انما المهم انها خانت . وقد لا تعكس خيانتها خللا بيئيا . ولكن موقف الرجل أو رد فعله من خيانة المرأة هو الذى يعطينا صوره حقيقية عن الظروف البيئية . تلك الظروف التى قد ترتعب من الخيانة أو قد تقبلها ببساطة وسهولة حيث ان هناك رجلاً اخر من بيئة أخرى يتقبل خيانة زوجته بهدوء وببساطة وبصدر رحب . ربما يتألم بعض الشىء . ربما يغضب قليلا . ربما لا يؤثر هذا كثيرا على علاقته المستقبلية بها إذ ربما يستمران معا داخل مؤسسة الزواج كزوج وكزوجة وتستمر هى مع عشيقها وايضا يستمر هو مع عشيقته اذا كان له عشيقة فهذه فلسفة وجهه نظر . موقف ثقافى حضارى . هذه بيئة ذات طبيعة خاصة وقيم خاصة ومبادىء خاصة تتعلق بالزواج وعلاقة الرجل والمرأة . هذه بيئة لها موقف معين من الحرية . وخاصة حرية المرأة . وحرية الجسد .

وأنا هنا لا اتعرض للبواعث النفسية لخيانة الزوجة ولكننى اتعرض فقط للموقف البيئى وكيف ان هذا يشكل مفهوم الناس عن الزواج والعلاقة بين المرأة والرجل فى اطار الزواج . وبهذا نجد ان

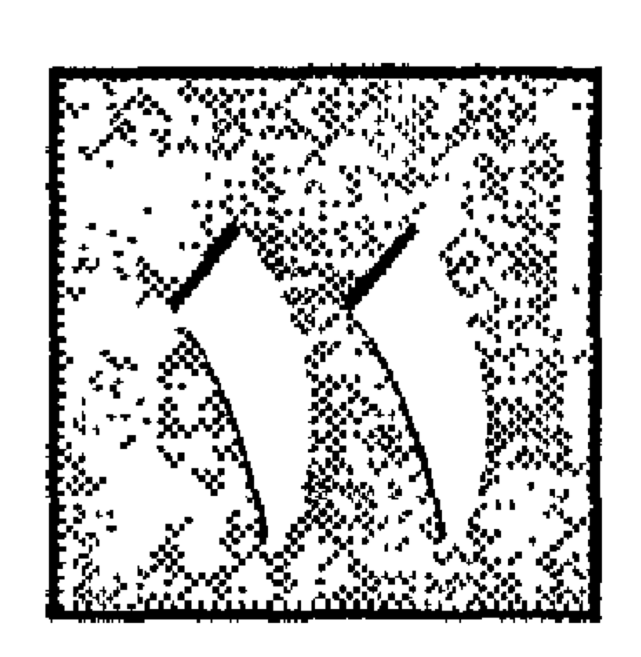
الاسلام العظيم قد تعرض للمجتمعات التى تشيع فيها الفاحشة وتحدث ايضا عن هؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخره والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (سورة النور) ..

●● والموقف البيئى ايضا يحدد نظرة المجتمع الى المرأة الخائنة إما كامرأة تمارس حريتها الشخصية أو كرد فعل لظروف نفسية خاصة أو كانسانة آثمة مخطئة باغية معتدية جانية تستحق العقاب . أو قد تكون النظرة متوازنة مقدرة تجمع بين الدين والعلم من حيث تأثيم الخيانة وفى نفس الوقت بحث الاسباب النفسية والدوافع وراء هذا السلوك الخاطىء . فهو خاطىء حتى وان كان مرضياً .

●●الا أن الرجل السوى وفى الاحوال العادية اى فى البيئة المتوازنة والتى لها رواسخها الدينية الاخلاقية يعانى الما فظيعا يستمر معه الى ان يودع الدنيا . الم خيانة الزوجة لا يزول عند الرجل . ويظل وقتا طويلا يعانى الاثار التدميرية للحدث حتى يستطيع ان يلملم نفسه وان كان لن يستطيع ابدا اعادة بناء ذاته المنهاره وكيانه المتهاوى ورجولته المبعثرة وخاصة اذا كان الحدث مفاجئا له وغير متوقع . واذا استمر فى زواجه لأى سبب فإنه لن يكون زواجا طبيعيا حتى وان انصلح حال زوجته واصبحت قديسة وظلت طوال حياتها تكفر عن ذنبها .

●● والغريب فى الامر ان المرأة تغفر وتتسامح وتنسى خيانة الزوج . ولكن الزوج لا ينسى ابدا . ولعل هذا له دلالته التاريخية أو الاصح والاصدق دلالته الربانية . وذلك لانه لا يمكن ان ينصلح أمر الكون وتستمر الحياة وتستقر الا من خلال فضيلة المرأة . فضيلة المرأة هى الاساس . اذا حدث تساهل فى فضيلة المرأة إنهار الكون وفسدت الحياة . ولهذا لا يمكن ان تقاس فضيلة الرجل بفضيلة المرأة. واهمية وجسامه وخطورة وعظمة فضيلة المرأة تفوق كثيرا

فضيلة الرجل . ولذلك فإن البيئة السوية تنظر بهلع الى خيانة المرأة . وكذلك ينهار الرجل لخيانة المرأة . ولعل هذا يرتبط بالدور الهام للمرأة فى الحياة كأم . هذا الدور الذى لا يمكن انكاره أو الاقلال من شأنه وخاصة من قبل الذين ينادون بالمساواة اذ ينكرون قصر دور المرأة فى الحياة على أن تكون اما وان تكون رحما وان تكون وعاء لاحتواء جنين . ان الدور الحقيقى للمرأة يبدأ بعد الميلاد حيث التربية والتنشئة . حيث التخليق النفسى الفكرى الوجدانى الاخلاقى الانسانى الاجتماعى السياسى . هذا هو دور المرأة الام . ولذلك كان يجب أن تكون فاضلة . امرأة غير فاضلة لا تصلح أما .. ولكن نعود فنقول ان دور المرأة الفاضلة لا يكتمل ولا يؤدى على النحو الاكمل الا من خلال رجل فاضل وبذلك يتحقق قول العزيز العليم «والطيبون للطيبات أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم » صدق الله العظيم .



خريف الرجل

●●بعض الناس يفضلون الخريف .. ينتظرونه . يترقبونه . يبهجهم الخريف أكثر من الربيع . يجدون فى تساقط الأوراق جمالاً . ربما أكثر جمالاً من تفتح الورود . يجدون فى الشجرة الجرداء وقاراً يوحى بجمال راق . ينتشون باللون الرمادى الذى تكتسى به الدنيا سماء وأرضاً ويهزهم هواء ينبىء ببروده قادمه . ويؤكدون أن للخريف رائحة ليس كمثلها شىء توحى بجلال وقدم وتاريخ . يجدون فى كل ذلك معنى وقيمة وعمقا . ويشملهم حزن رقيق هو أقرب الى السرور الهادىء يدفعهم للتأمل والتفكير والتدير والإدراك الباطنى وتراودهم الأفكار النبيلة عن خالق الكون ومبدعه ويصحو لديهم حنين دفين للفن .

●● ولذلك لاينزعج رجال كثيرون وهم يتخطون الخمسين .

لا يشعرون بالانطفاء ولكن بالتوهج . ولايقلقهم تجاعيد زاحفة أو شعيرات بيضاء متناثرة ربما بكثافة ولا ينشغلون بمقاومة الزمن والبحث عن وسائل للعودة إلى الوراء . بل يرتشفون الحاضر بتلذذ غير معهود ويستمتعون بخواطر وإلهامات ونبضات وجدان غير مسبوقة . وتشملهم همة وحماس ونشاط هادف واع . وتصبح قيمه الزمن أعلى وإذا بالساعة الواحدة إيجازاً وإمتاعاً تساوى يوماً من الزمن غير البعيد . وفى هذه المرحلة يستطيعون بالعين المجردة أن يروا الكره الأرضية وهى معلقه فى فضاء الكون .ويدركوا علاقتها بالكواكب والمجرات الأخرى . وينفذوا بأبصارهم وأفكارهم ووجدانهم إلى أعمق أعماق الكون فى محاولة لادراك سر الوجود .

وتتراجع القوى الجسدية . رويداً رويداً تراجعاً غير محسوس وغير مدرك . وتتزايد قوى أخرى . القوى المعبرة حقاً عن معنى الإسان . وأهمها قوة الروح . فتزداد شفافية وإحاطة وإلماماً ونفاذاً وإدراكاً ونقاء وكشفاً . وإذا بقوة الروح تمنح الجسد المتراجع قوة من نوع جديد تزيد من روعة الأحاسيس وتجاوبها ويكتسى الوجه وقاراً يوحى بجمال أخاذ ناضج من عقل ناضج .

●● وقليل من الرجال ينزعجون يصيبهم قلق وغم . يتحسرون . ينظرون بأسف إلى الشباب اليانع من حولهم بل ويحسدون ، يهرعون إلى الأصباغ والألوان والمقويات لعلهم يسرقون الزمن ولكن هيهات . ينشغلون بالكامل بأجسادهم . فتنطفىء أرواحهم . ويدخلون فى سباق هم الخاسرون فيه حتماً . ويزداد القلق وتزداد الكآبة . فيزداد التهور والاندفاع والانغماس واللهث وراء لذات فورية مؤقتة تفشل فى إرواء الجسد المتراجع .

●● والعلم يطلق على هذه المرحلة سن اليأس عند الرجال . وتبدأ حول الخمسين فى مقابل سن اليأس عند المرأة والتى تبدأ حوالى الخامسة والأربعين .

●● وهى مرحلة تراجع هورمونى وتساقط فى الخلايا . فيخفت وهج الرغبة ، تتواضع رعونة النشاط والهمة ، وتبطأ الأستجابة ويصحب ذلك تغيرات واضحة فى الملامح والشكل والقوة والحركة . ويصاحب ذلك تغيرات فى النفس فتغشاها كآبة وزهو وفتور وإنطفاء وتراجع وإنهزام وحسرة وآسي وهى نفس المعانى التى يمكن أن نستوحيها بالنظر إلى أشجار الخريف وخاصة إذا كنا من هذا النوع من الناس الذين يزعجهم الخريف . أما الذين يحبون الخريف فإنهم لايزالون يرون الشجرة واقفة منتصبة قوية جذورها ممتدة فى الأرض وساقها مرتفعةإلى السماء ومازالت تجرى فى شرايينها المياه حاملة عناصر الحياة من الأرض إلى خلاياها . ولايزالون يرون فيها جمالا من نوع خاص بعد ذبول أوراقها .

●● إذن الأمر يتوقف على كيف ننظر إلى الأشياء . كيف نفهم الحياة . كيف ندرك المعنى . كيف نرى بانوراما الحياة منذ لحظة الميلاد إلى لحظة الرحيل . وما حكمة المراحل التى يمر بها كل مخلوق حى من ضعف إلى قوة إلى ضعف إلى زوال .

●● بعض الناس يزعجهم التراجع الجسدى فيشغلهم عن تعاظم فى قوى أخرى داخلهم ويلهيهم عن متع أخرى لا يمكن إدراكها الا فى هذه المرحلة من العمر .

●● بعض الرجال فى هذه المرحلة من العمر يتصورون أن بإمكانهم خداع الزمن فيتشبهون بشباب العصر فى ملبسهم وسلوكهم ، ثم يتصورون أنه بإمكانهم البدء من جديده أى أنى وكأنهم يبدأون حياتهم فيتزوجون بمن تصغرهم فى السن كثيراً ويدخلون فى سباق ومنافسة مرهقة مضنية ويعيشون الوهم . وبذلك تضيع منهم متعة الطمأنينة مع شريك العمر ورفيق رحلة الحياة حيث كبرا معاً وحصداً معا ، وحزنا معا ، وادخرا رصيدا هائلاً فى بنك الذكريات ينفقان منه وهما يتدثران ملتصقين حول مدفأة

الشتـاء . وبذلـك تفوت عليهم فـرص الاستمتـاع بـالأبناء وقـد كبروا وبفـرض قفـز الأحصـاء من حـولهم وذلك يفقـدون فـرص التمتع بالشـجرة الكبيرة التى بدآها معاً وأثمرت أولاداً وبنات وأحفاداً .

●● والأكتئاب يـداهم هؤلاء الذين يتحسرون بشـدة على الشباب الفائق . ويسمى اكتئـاب سن اليأس . وهو إكتئاب مـرضـى يحتاج إلى علاج طبى نفسـى حيث يشعر الـرجل بالحزن واليأس والقنوط وعدم الرغبة فى الحياة والأرق وضـعف الشـهيـة مع زيادة فى الوهن الجسدى أو قد تكثـر الشكاوى الجسديـة دون أن يكون لها أسـاس عضـوى . حالة من توهم المرض دون أن يكون هناك مرض .

●● وتزداد نسبة حـدوث الأكتئاب بعد المعاش . ولعلهـا من أكثر فترات العمر حرجاً عند الرجل . والمعـاش عند بعض الناس معناه فراغ وضياع السلطة والـهيبـة وكأن الرجل كان يستمد كل كيـانه وذاته من عمله الـرسمى فقط . وكأن كل قيمته كانت محصـورة فى وظيفته فإذا فقـدها أصبح هـو لاشىء بعـد أن كـان كل شىء . وهذه خطـورة أن يصل الأنسـان إلى سلطـة أو منصب براق أو هام دون أن يكـون هناك أساس علمي أو تفـوق مهنى حقيقي . فإذا ترك وظيفته عـاد إلى نقطة الصفـر لأنه لم يكن لـديه رصيـد حقيقى من علم وخبرة وتميز . هـذا يحدث فى نـوعية معينـة من الوظـائف والتى تجعل صـاحبهـا ينشغل بـالسلطـة ويـزهـو بـالقـوة وينصرف عن الاهتمام الـواعى الـذكى لمستقبله فيما بعد زوال السلطة .

تقل حـدة أعراض مـرض المعاش عند هـؤلاء الذيـن يستمرون فى عمل جـاد ومفيـد ومثمـر مستفيـدين من رصيـدهم العلمى الثقـافى الخبراتى . لانهم أتقنـوا صنعـة معينـة . وأجـادوا حرفـة خـاصـة . ووصلـوا إلى درجـة من النضـج والأحتراف بحيث يتلهف النـاس على بضـاعتهم لشدة إتقانهم وبراعتهم ودقتهم وإبداعهم . وهذه البضـاعة من الممكن أن تكون رأيـاً أو مشورة أو حلاً لمشكلـة .. ولاشـىء يوقف

مـرض المعاش إلا العمل بعـد المعاش . ويجب أن يسـتمـر العمل حتى آخر لحظـة فى العمر. يجب ألا يتوقف الـرجل أبداً عن العمل . والعمل بعد المعاش له متعة خاصــة . متعة الهواية متعة العشق . متعة الأرادة الحرة الكـاملـة .متعة الإبـداع والتفنين . هـذه متع لم يكن يشعـر بها الرجل وهو يمارس عملـه فى شبابه . وهذا جـانب من المتع التى لاتتاح للإنسان إلا فى هذه المرحلة من العمر .

●● ومع التطور الحضارى العلمي وخـاصة فى المجالات المتعلقة بـالبيئة والصحــة أصبح من الممكن للإنســان أن يستمتع بالنشــاط والقوة والحيـوية والذاكـرة الحادة بعد الستين . وأيضــاً بعد السبعين وربما بعـد الثمانين . بعض النـاس تقل حركتهم بعـد المعـاش تحت تأثير وهم تقـدم العمـر . وبـالتالى تقل حـركتهم النفسيــة . فيـزداد الاحســاس بالنهـايــة وهـذا خطأ كبير . إذ يجب أن يستمر النشــاط . الحركى العضـلى والنفسـى . النشــاط الكـامل . يجب أن تظل الشرايين مفتـوحـة تـدفع بـدم الحيـاة . إلى كـل خـلايـا الجسم من قلب ملىء بالحماس وحب الحياة ومن عقل منتبه واع أصبح يدرك بعمق أكثر .

●● ثم يجب على الإنسان أن يعـود إلى هواياته التى لم يكن لـديه متسع من الـوقت لممارستهـا . يجب أن يقرأ الكتب التـى فاتتـه . وأن يعطى وقتــاً لـلاستماع إلى التراث الموسيقى بتفــرغ وخـاصـــة أن الموسيقى فى وقت إنشغالنا تكـون دائماً فى الخلفية أى لم نكن نعطيها اهتماماً وتركيزاً خاصاً .

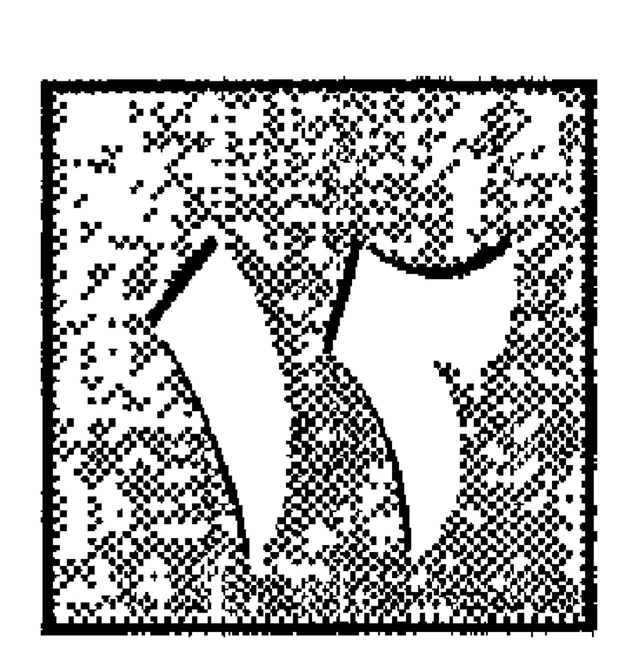
●● يجب ألا يتوقف الإنسان عن ممارســة كل ما كان يستمتع به فى بدايـة حياتــه . ألا يتوقف عن الترفيـه والترويح عن النفس . بل إن هناك متعـاً جديـدة تضاف وأصبحت متاحـة له فى هـذه السن أو أنه أصبح قادراً عليها .

●● ويستطيع الرجل مهما بلغ عمره أن يستمر فى ممارسـة الحب . بكل أشكـاله مع شريكـة حيـاته . ربما بكفـاءة يحسـده عليها أبنـاء

العشرين . فلديهما رصيد من خبرة وألفة . كل منهما يستطيع أن يرى تعبيرات وجه الآخـر فى الظلام . كل منهما يستطيع أن ينصت بفهم إلى أنفاس الآخر . كل جزء من جسمه يستطيع أن يقيم حواراً مع كل جزء من جسم شريك حياتـه بل أن هناك حواراً روحيـاً عذباً يـدور بصفة مستمرة وهما صامتان .

وإذا هما يمارسـان الحب يستعينـان بكل الـذكـريـات الحلـوة فى ممارسات سابقة تعد بعشرات المئـات . إنه مذاق مستمر ونكهة دائمة وإحساس متجـدد ونبض قلب لايتوقف وحركـة روح لاتهدأ ونشاط فكر عاشق ..

●● وهم كبير أن الجنس غير متـاح للمتقـدمين فى العمر . بل هـو متاح بصورة أروع وأمتع لأنه يحلق بهما فى أعلى سماء فتصبح نشوة الروح فى أقصاها حتى وإن كانت هزات الجسد فى أدناها .



عندما يصاب الرجل بالضعف الجنسى !!

قد تضطرب الوظيفة الجنسية عند الرجل مثلما تضطرب أى وظيفة فسيولوجية أخرى فى الجسم مثل الاضطرابات التى تصيب الهضم أو التنفس أو الحركة العضلية وهكذا .. وهذا الاضطراب الجنسى قد يكون خللا وظيفيا مؤقتا يستمر ساعات أو أياما أو أسابيع أو حتى شهورا قليلة سرعان ما يشفى منه الانسان بصورة تلقائية أو بفعل علاج بسيط . وقد يكون الاضطراب الجنسى بسبب مرض محدد نتيجة لاسباب معينة وهذا يستلزم التدخل العلاجى والذى قد يؤدى الى شفاء كامل وعودة الحالة الى طبيعتها قبل المرضية أو قد يؤدى الى تحسن نسبى .

●● المهم أن الوظيفة الجنسية عند الرجل يعتريها ما يعترى أى وظيفة بدنية أخرى من اضطرابات تؤدى الى عدم القدرة على أداء هذه

الوظيفة كما ينبغى أو عدم القدرة على أدائها بالمرة .

●● الا ان هناك امورا يجب توضيحها منذ البداية حتى لا يرسخ فى أذهاننا اعتقاد بان الوظيفة الجنسية تخضع لنفس القوانين التى تخضع لها أى وظيفة فسيولوجية أخرى بالجسم . انها حقا وظيفة لها جانبها الفسيولوجى الا أن هناك عوامل اخرى هامة تتداخل مع فسيولوجيا الجنس لتحدد مدى القوى وشكل الاداء وهذه العوامل المرتبطة بالوظيفة الجنسية هى :

١ ـ عوامل نفسية مباشرة كالحالة المزاجية الموجود عليها الانسان مثل السرور والطمأنينة أو القلق والاكتئاب .

٢ ـ عوامل نفسية غير مباشرة أو لا شعورية مثل التاريخ الجنسى للانسان والاثار التى تركتها الاحداث والمفاهيم الجنسية على هذا الانسان وترسبت فى عقله الباطن واصبحت تتحكم فى هذه الوظيفة الجنسية .

٣ ـ الظروف البيئية والثقافية التى تشكل موقف المجتمع من الجنس والعلاقات الجنسية .

٤ ـ العلاقة مع الطرف الاخر . أى الشريك فى العلاقة الجنسية . علاقة زواج .علاقة محرمة . مودة . نفور .. وهكذا .

٥ ـ الموقف الدينى للانسان .

٦ ـ السن . أى عمر الانسان . فهذه الوظيفة بالذات تتأثر بمراحل العمر المختلفة .

●● كل هذه العوامل مجتمعة وليس بعضها تؤثر فى النهاية على الوظيفة الجنسية . هذا بالاضافة الى العوامل الفسيولوجية المباشرة وغير المباشرة كالصحة العامة والجهاز العصبى والغدد الهورمونية الجنسية .

●● ونحن لسنا بصدد مناقشة الاسباب . بل سنهتم بتأثير الاضطراب الجنسى عند الرجل على العلاقة الزوجية . هذا التأثير

الذى قـد يعوق فى حد ذاته نجـاح العلاج وقد يصبح سببـا لاستمرار الحالة وقد يؤدى الى فشل الزواج .

من الناحية الاكلينيكيـة فان الاضطراب الجنسى قد يكـون مؤقتا وقد يطـول زمنيا . قـد يأتى فى صـورة متكـررة من وقت لآخـر وقد لا يعاود الرجل ابدا بعد اصابته ثم شفائه اول مرة .

وقد يكون اضطرابا كاملا وقد يكون اضطرابا محدودا .

وقد يأتى تدريجا ويتـزايد مع الوقت على مدى شهـور وقد يداهم الانسان فجأة .

●● وهذا الاضطراب قد يصيب الرجل مع امرأة بعينها ولكنه من الممكن ان يكون سليما وطبيعيا مع اى امرأة أخرى .

●● وفى النهـاية فـان هذا الاضطـراب قـد لا يظهر الا اذا حـاول الرجل ممارسـة الجنس . اما بعيدا من المرأة فإنـه يكون سليما تماما كما تؤكد وتثبت الفحوص الطبية التى أصبحت الان قادرة على تحديد اسباب ودرجة الاضطراب الجنسى ووجوده من عدمه .

●● هذه كانت الصور الاكلينيكيـة المختلفة للاضطراب الجنسى عند الرجل وهو ما يطلق عليه العجز IMPOTENCE

●● وكما قلت لايهمنا دراسة الاسبـاب ولكن يهمنا دراسة التأثير الذى يكون فى بعض الاحيان مزلزلا فى حياة الزوجين .

١ ــ الامـر فى البدايـة وفى الاســاس يتـوقف على طبيعة العـلاقـة الزوجيـة وبمعنى ادق الى اى مـدى تتواجـد وتتوافـر المودة والرحمة بينهما . إلى أى درجة هما متقتاربان . هل يعيشـان كالغرباء ، بحيث يكون العطاء مساوياً تماماً للأخذ وإذا حدث أى خلل فى الميزان يكون الشعور بـالغبن والظلم وعـدم العدالـة والتفكير الجدى فى الانفصـال والنجاه . أم هما قريبان إلى الدرجة التى يشعر كل منهما أنه أم أو أب للطـرف الآخـر يعطيـه دون أن ينتظـر المقـابل ويتفـانى فى إسعـاده ورضائه ويكون لدى كل منهما يقين بـأن علاقتهما أبدية ولايمكن أن

تنفصم لأى أسباب .

● وهنـــاك عقـود زواج مشروطـــة بمـدى قـــدرة كل منهما على الاستمـرار فى العطـاء . ومن ضمنهـا العطـاء الجنسى . فإذا تعطلت هذه القدرة كـانت مبررا كافياً للانفصـــال . وهناك عقود أبديـة خالية من أى شروط . والنقطة الجوهـرية هنا تصبح : مـدى اليقين الراسـخ داخل كل منهما عن أبـدية العلاقـة الزوجيـة مهما كانت الصعـوبات والتحديات .

هذه النقطة بـالذات تؤثر على مـدى استجابة الرجـل للاضطراب الجنسى الـذى أصـابـه وتـؤثـر أيضـاً على مـدى استجـابـة المرأة للاضطراب الجنسى الذى أصـاب زوجها . فإذا كان كل منهما يشعر بأن استمراريـة العلاقـة بينهما مشروطة بـالكفاءة والقـدرة والعطاء الذى ينتظر المقـابل الموازى المتكافىء فإن اضطراباً شـديداً سيصيب الطـرفين إزاء الاضطـراب الجنسى الذى يصيب الـرجل . وسيكـون اضطراب الرجل أشد .

وذلك سيخلق عنـده حـالـة من القلـق تضـاعف من اضطـرابـه الجنسـى ممـا يجعل التشخيص الطبـى ومعـرفـة الأسبـاب صعبـاً ومختلطاً ومما يعوق بكل تأكيد نجاح خطة العلاج . ولكن فؤاد الرجل يصبح ثابتـاً ومطمئنا إذا كانت العـلاقة خالدة ، وكـذلك سيكون رد فعل المرأة ، مما يتيح المواجهـة الهادئة الموضوعية العلميـة للمشكلة وإحتوائها مثل أى مشكلة صحيحة أخرى .

٢ ـ العامل الثانى والهام والذى يحدد مدى تأثر كل منهما وكذلك التأثير على كفـاءة العـلاج ثم التأثير على مستقبل حيـاتهما معاً هـو : مـوقع وأهميـة ودور الجنس فى حياتهما . قـد يشكل الجنس مـوقفـا أساسياً ومحورياً تقوم عليه العـلاقة الزوجية بأكملها . وقد لايحتل المركز عنـد بعض الأزواج ولكن يكون قـريباً من المركز . وقـد يكون هـامشياً فى حيـاة البعض الآخر . والحيـاة الـزوجية التى تقـوم على

الجنس لابد أن تنهار فى حالة إصابة أحدهما باضطراب الجنس سواء إذا كان مؤقتاً أو دائماً فإنه سيؤدى إلى نفس النتيجة . أى زلزلة العلاقة ، وكذلك التحسن الجزئى سيكون له نفس النتيجة السيئة . فالرجل قد لايعود إلى حالته الطبيعية تماماً وإنما يصادف درجة معقولة من التحسن تتيح للعلاقة الجنسية أن تستمر . ولكن هذا لايكون مرضياً مع هؤلاء الذين اعتبروا الجنس محوراً أساسياً لحياتهم الزوجية .

●● ولكن ثمه تأثيرات لانستطيع التقليل من شأنها تحدث حتى لدى هؤلاء الذين يعيشون والجنس على هامش حياتهم . فالجنس سواء كان محوريا أو هامشيا فإنه يشكل قيمة معنوية ما فى حياته الزوجية . فالجنس فى اطار الزواج لا يحقق ارضاء جسديا فقط ، ولكنه يحقق ربما بالدرجة الأولى فى بعض الأحيان ارضاء عاطفيا نفسيا ، وخاصة لدى هؤلاء الذين لايحتل الجنس لديهم موقفاً محورياً . أما هؤلاء الذين يعتبرون الجنس مركزاً لحياتهم الزوجية الزوجية فإن الوظيفة الحسية الجسدية للجنس تكون هى الأقوى ولذلك يفتقدونه بشدة مثل الذى يفتقد الطعام وهؤلاء هم الذى يتأثرون إلى حد الزلزلة فى حالة إصابة الرجل بالاضطراب الجنسى .

٣ ـ ثم تأتى إلى النقطة الثالثة وهى موقف المرأة بالتحديد من زوجها . مدى الثراء فى شخصية هذا الأنسان . مدى إعجابها بجوانب آخرى فى شخصيته . مدى الامتلاء الذى تشعر به مع هذا الرجل حتى فى ظل ضعفه الجنسى الذى طرأ على حياتهما ، ومدى قدرة الجوانب الأخرى الثرية فى شخصيته على تعويضها الفقد الجنسى .

٤ ـ ثم الثراء فى حياتهما معاً .اهتماماتهما المتعددة . قدرة هذه الاهتمامات المشتركة على إمتاع الروح والنفس والعقل والوجدان إلى الدرجة التى يشعران أنهما لايفتقدان الجنس إفتقاداً كبيراً مزعزعاً مزلزلا مفزعاً . والثراء يعتمد أيضاً على عمر الزواج ورصيد

الذكريات. فإن آثار الضعف الجنسى الذى يصيب الرجل بعد عام أو عامين من الزواج تختلف عن الآثار التى يخلفها ضعف لم يصب الرجل إلا بعد مضى عشرين عاماً من الزواج .

٥ ـ وهناك رصيد آخر هام يكون محفوظاً لدى الزوجة ويحدد رد فعلها هى بالذات تجاه الاضطراب الجنسى الذى أصاب زوجها . فهناك رصيد بالامتنان . الامتنان للزوج الذى وقف بجوارها وقت مرضها أو ضعفها أو اضطرابها سواء فى الجنس أو الصحة العامة أو أى ظروف أخرى . لم يتذمر . ولم يتنكر لها . ولم يشك . وإنما كان ودوداً رحيماً مقدراً راضياً وكان كل مايعنيه مساعدتها على إجتياز أزمتها ..

●● وهناك رصيد من نوع آخر . رصيد من العداوة . رصيد من رغبة ودفينة للانتقام وذلك لان هذا الزوج لم يرحمها وقت ضعفها أو مرضها أو أزمتها . بل أظهر تذمره وتهديده وربما سخريته وحنجرته وملهمته . هنا تنطوى المرأة على مشاعر الألم والتى تتحول إلى حقد وعداوه . وتنتهز فرص ضعفه لترد إليه مافعله بها وتنكل به خاصة فى هذا الموضوع الحساس جداً بالنسبة للرجل هنا تصطاده فى مقتل . وهذا لايعنى إلا أن هذه العلاقة الزوجية مضطربة من الأساس .

٦ ــ والعامل السادس قريب إلى حد كبير من العامل الخامس ويتعلق بشكل عام بالصراعات الحادة والمزمنة الموجودة بين الزوجين وهى صراعات تتسم باللارحمة واللا إنسانية وتؤدى إلى أن ينتهز كل منهما لحظات ضعف الآخر ليضغط عليه ويزيد من ضعفه وربما إذلاله . وهذا يعنى أيضاً أن هذه العلاقة الزوجية مضطربة من الأساس . خاصة مع الزوج الانانى النرجسى والزوج الذى كان يعامل زوجته بقسوة والزوج الذى أهمل زوجته عاطفياً وجنسياً والزوج الذى تعددت خياناته الزوجية مما ترك جراحاً غائرة لدى زوجته .

٧ ـ العامل السابع هو المستوى الاخلاقى للزوجة ومستوى قيمها التى تتمسك بها ودرجة تدينها وتقديسها للحياة الزوجية . فاذا تدنى المستوى الاخلاقى للزوجة فان رد فعلها يكون قاسيا ازاء الاضطراب الجنسى الذى اصاب زوجها مما ينبىء أو يهدد فعليا استمرار هذا الزواج . ويخبرنا بهذا تاريخها الاخلاقى أى سيرها وسلوكهاوخاصة قبل الزواج . وايضا المستوى البيئى الاجتماعى الاسرى الذى تربت ونشأت وعاشت فيه أو ما يطلق عليه « الاصل » فهناك اصل طيب وهناك اصل سيىء والاصل يشكل معدن النفس .فهناك معدن ثمين نفيس وهناك معدن رخيص ردىء .

٨ ـ يتحدد التأثير ايضا بطبيعة كل منهما فى مواجهة الازمات والمشكلات والصعوبات ومدى قدرتهما معا على مواجهة ما يطرأ على حياتهما معا من أزمات معنوية أو مادية . الانزعاج الشديد يؤدى الى مضاعفة المشكلة . اما المواجهة الهادئة الموضوعية فقد تكون كافية فى حد ذاتها لعلاج الحالات البسيطة والطارئة .

٩ ـ وثمة عوامل اخرى مؤثرة قد نتعامل معها مجتمعة ، كالنضج والثقافة والتعليم والعمر ودرجة الحياء . وفيما يتعلق بنقطة الحياء فإن الامور الجنسية قد تطرح بشكل سافر فى حوارات كثير من الناس الازواج والاصدقاء وحتى الزملاء . أما عند قليل من الناس فإن الأمور الجنسية خاصة العلاقة الجنسية بين الزوجين تحاط بقدسية خاصة ولايمكن أن تكون محوراً للحديث أو تندر أو مزح أو فكاهة . وإذا كان من الضرورى تناولها فان ذلك يتم بحياء وحذر . الا أن هذا الحياء قد يصل الى اقصى درجاته فيصبح خجلا ويصاب الانسان بالقلق الشديد والتوتر اذا اضطر لمناقشة أحوال حياته الجنسية خاصة مع شريك حياته بل يحجم احجاما كاملا عن ذلك مهما كانت ضرورة واهمية تناولها وهذا معناه ان هذا الانسان قد تعرض لكبت شديد فى مراحل تنشئته متعلقا بالامور الجنسية بحيث ان الحديث

عنهـا باى صــورة كـان يعتبر خطأ كبيرا وجـريمة لا تغتفـر تستحق العقاب الدنيوى والسماوى .

●●●

●● كانت هــذه هى العوامل المؤثـرة عن مدى استجابـة الزوجين للاضطراب الجنسى الذى يصيب الرجل .

●● والان نتطـرق الى تأثير الضعف الجنسى للرجل على الحيـاة الزوجية . هناك عدة احتمالات :

١ ـ إمـا أن تدمـر الحياة الـزوجية تـدميرا كامـلا خاصـة اذا كان الضعف كاملا ومستمرا .

٢ ـ أو تصاب الحياة الزوجية بـاضطراب تكيفي يأخذ وقتا طويلا لإعادة الاتـزان والتكيف . وفى خـلال ذلك قد تتفجـر صراعات قـديمة وتتسم الحياة بالخلافات الشديدة والمشاحنات وتخيم التعاسة .

٣ ـ وإما يتعرض الموضوع الى إنكـار كامل من الطرفين فى محاولة لإسـقاطه بـالكامل من الوعى ويكملان مسيرة الحيـاة وكأن شيئا لم يكن .

٤ ـ أو قـدتحدث تأثيرات سلبية على الـزوجين . فتصبح الـزوجة قلقـة عصبية مكتئبـة حـادة .ولكن دون ان تـدرك ان هنـاك علاقـة مباشرة بين حـالتها وضعف زوجهـا . وكذلـك يصبح الزوج عـدوانيا خـاصة مع زوجتـه . وذلك عكس مـا قد يتـوقع البعض . المتـوقع ان يعوض الزوج نقصه الجنسى برقـة المعاملة . ولكن الحقيقة أن الزوج يصبح شـديـد العـدوانيـة مع زوجتـه سهل الاستثـارة عصبيـا مع الاستخـدام المفرط لـلاسقاط وقـد يحملها بشكل مبـاشر أسباب مـا اصابه .

٥ ـ وقد يمرض الـزوج مرضـا نفسيا فعليا وتسيطر عليـه مشاعر الاضطهاد ثم الشك . وقـد تسيطر عليـه ضلالات فعلية بـان زوجته تخونـه رغم انها بريئـة تمامـا . الا أن ذلك نادر الحدوث ، واذا حـدث

فلفترة مؤقتة . ولا يكون الضعف الجنسى هو السبب المباشر لمرض الزوج ولكنه يكون هو الذى فجر الاستعداد الكامن للمرض لدى الزوج .

٦ ــ والزوجة لا تخون زوجها لضعفه الجنسى . ولكن الزوجة التى لديها الاستعداد للانحراف قد تتخذ ضعف زوجها الجنسى ذريعة لاستكمال مسيرة الانحراف . الانحراف استعداد وتكوين وبيئة وتربية وتنشئة وتركيبه اجتماعية اسرية نفسية وتاريخ سابق للانحراف يبدأ فى مرحلة مبكرة من العمر ويستمر بصورة دائمة أو متقطعةولكنه لا يختفى بشكل مطلق الا فى احوال نادرة وبهداية من الله . ولا علاقة اطلاقا بين الضعف الجنسى للزوج وانحراف الزوجة . بل إن معظم الزوجات المنحرفات لديهن ازواجا اصحابا جنسيا وربما بصورة مبالغ فيها .

٧ ــ الاحتمال السابع هو المواجهة الموضوعية الهادئة العلمية للموضوع إما الانتظار بعض الوقت حتى تزول الحالة اذا كانت طارئة ومؤقته . وإما استشاره المتخصص .

هذه الاستجابة الصحيحة تعتمد بالقطع على كثير من العوامل الايجابية فى العلاقة الزوجية وعلى شخصية كل منهما ، وهذا فى حد ذاته كفيل بان يجعل الاضطراب مؤقتا ويساعد على زواله حتى بدون تدخل علاجى .

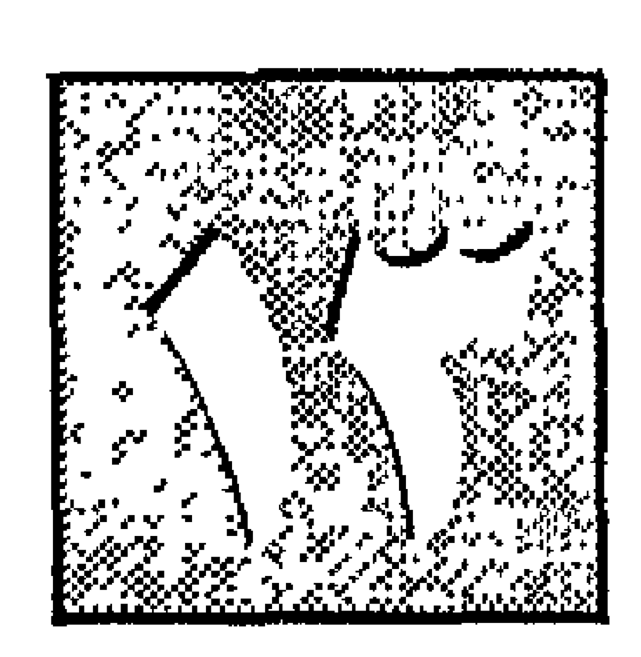
ونجاح العلاج ايضا يتوقف على تعاون الزوجة وتفهمها واشراكها ومشاركتها منذ البداية . إنه أمر مشترك .وأى رد فعل حاد أو غاضب أو مبالغ فيه منهما يسىء للحالة . وفى هذه الظروف قد لا تكون قضيتنا الاولى المشكلة الجنسية ولكنها تنتهز الفرصة لتصفية الحسابات والانتقام لنفسها فى اشد لحظات ضعف الرجل خاصة اذا كان هذا الرجل من النوع الذى يتأثر بشدة لضعفه الجنسى ويعتبره كارثة تهدد كل حياته وتهدد كيانه وكرامته واحساسه بذاته

ومستقبله ويتحدد على اساسها مصير زواجه بل مصير كل شىء فى حياته . اذا اعطى الرجل هذه الدرجة المبالغ فيها وغير الطبيعية للمشكلة فانه يتيح للزوجة السيئة أو الزوجة الضحية التى عانت منه فى الماضى ان ترد له اساءاته .

ثم نأتى الى النقطة الاخيرة وهى الى أى مدى من الممكن ان نتقبل التغيرات الجنسية التى تطرأ علينا بفعل التقدم فى العمر . أو بفعل بعض الامراض التى قد تسبب تراجعا فى القدرة الجنسية الى أى مدى يمكننا الاستمتاع بالقدر المتاح والموجود والممكن من القدرة الجنسية ؟ .

وكل الخبرات الانسانية تؤكد ان درجة الاستمتاع لا تتوقف بالدرجة الاولى على مستوى الكفاءة الجسدية لأن المتعة الجنسية فى اطار الزواج هى متعة شمولية تتناول الروح والنفس والجسد . وانه حتى مع تراجع الجسد بفعل السن أو المرض فان متعة الروح والنفس تتزايد . وانه مع مرور السنين يحدث ما يسمى بالتفاهم الجنسى بين الزوجين مما يتيح فرص لمتع أكثر وأكبر .

والسنين أى العشرة لا تؤدى الى التفاهم الجنسى فقط وانما الى التفاهم فى كل امور الحياة وهذا يعنى درجة أكبر من الالتصاق الباعث على طمأنينة خلود العلاقة بين زوجين ناضجين يتمتعان بسمو أخلاقى ومستوى اجتماعى انسانى راق تظللهما منذ اللحظة الاولى للزواج وحتى اخر العمر الموده والرحمة .



زوج مهاجر

●● لم يتابع الفيلم الذى تعرضه الطائرة بالرغم من أنه كان يبحلق فى شاشة العرض ويضع سماعة الصوت على أذنيه . بل استعرض جزءا من فيلم حياته وبالتحديد منذ زواجه من جيهان وحتى هذه اللحظات . إستغرق الأمر منه ساعتين ونصفا هو الزمن الذى قطعت فيه الطائرة المسافة من أرض الوطن إلى أرض الدولة التى يعمل بها منذ أربع سنوات وهاهو ذا يبدأ السنة الخامسة بعد أن طلب مد الاعارة بضغط من زوجته وأولاده ،.

●● مع قرب إنتهاء السنة الرابعة ، كان قد قرر أن يعود نهائياً إلى وطنه ليستقر مع أسرته بعد غياب أربع سنوات إنفصلت فيها كل سنة من الأخرى بشهر إجازة يقضيه بينهم . . ومنذ بداية الاعارة قررت الأسرة أن تبقى فى القاهرة على أن يذهب هو وحده وذلك توفيراً

للمصروفات ولزيادة المدخرات تحقيقاً للخطة الاقتصادية التى اتفقوا عليها بعد أن أعلنوا بنبأ الاعارة . وحين أخبرهم بنية العودة النهائية إستشعر وجوماً فى أصواتهم جميعاً . أعقب ذلك خطاب عاجل وصله من زوجته فى صورة بيان للميزانية يؤكد استفادتها من دراستها بكلية التجارة . أوضحت فى خطابها أن خطتهم الأقتصادية الطموح لم يتحقق منها إلا نصفها نظراً للزيادة المطردة فى الأسعار وحالة التضخم التى دهورت القيمة الشرائية للجنيه المصرى ، وأن رجوعه الآن يشكل كارثة تتحطم بسببها آمال الأسرة جميعها وأنهم بالرغم من تشوقهم لعودته النهائية بينهم إلا أنهم يرجونه أن يبذل الجهود والمساعى للبقاء سنة أخرى خامسة على الاقل حتى يعيدوا النظر فى خطتهم .

كان الخطاب منطقيا ومقنعا الى حد كبير لأنه اعتمد على لغة الارقام واشتمل على آمال واحلام ، ولم يخل من النبرة العاطفية التى تؤكد حزنهم على فراقه وتلهفهم لعودته ولكن ما باليد حيلة . ولم تنس جيهان ان ترسل الخطاب بمجموعة من الطلبات الجديدة التى لم تتسع المكالمة التليفونية لها . وآخر سطر كان توقيعها بزوجتك الحبيبة المخلصة جيهان وابنائك البررة ليليان وسوسن واحمد وطارق .

تأثر بالخطاب وقرر أن يستجيب لطلب الأسرة وتم له ما أراد من امتداد إعارته .

●●واستقبلته الأسرة بقلق وفرح وسألوه عن النتيجة فأراد أن يمزح معهم وقال لهم ان طلب مد الاعارة قد رفض . وكأن قد مستهم جميعا صاعقة فأصفرت وجوههم وانعقدت ألسنتهم وماتت فرحة اللقاء . ثم استفاقوا وعلا صوت باقتراح ان يستقيل من عمله بالقاهرة ويتعاقد مباشرة . يعنى النتيجة أنه لابد ان يسافر مرة اخرى . وأخبرهم بمزحته فأطمأنت قلوبهم وعادت الفرحة وقفزوا إلى

الحقـائب ، ورغم أنـه أحضر لهم مـا لا يقل عن ٨٠٪ من طلبـاتهم إلا انهم أظهروا بعض التذمر وعدم الرضا مع انخفاض مفاجىء فى درجة حماسهم . وظل التراجع التدريجى فى الحماس يتـزايد حتى وصل إلى أقصى منتهاه بعد أسبوع واحد من عودته.

●● وفى نفس ليلة وصـوله أراد زوجته بعـد فراق سنـة فأخبرته بعـذرها وفهم أنها الـدورة الشهريـة . فـاكتفى بتقبيلها وضمهـا إلى صدره فـاعتذرت بالتعب والاجهـاد . وبالكاد بعد عشرة أيـام استطاع ان يلتقى بها بلهفة عارمـة منه وفتور غير متوقع منهـا بررته بضغط المسئولية والارهاق .

●●وانقضى أسبـوعـان من الأجازة . وبقى أسبـوعـان . ووضـع خطـة متكاملـة ليتمتعوا معـا ويعيشـوا حياة الأسرة على الشـاطىء . ولكن الخطة ووجهت باعتراضات نظـرا لتعدد انشغـالهم . كل فرد من أفـراد الأسرة كان لـه تـرتيباتـه الخاصـة فى هـذه الأيام . وتشـابكت وتعقـدت الاهتمامات والمشـاغل . وانتهوا إلى رفض خطتـه . فأراد ان يشـاركهم فى اهتمامـاتهم وخططهم ولكنهم اعتـذروا بـأدب . شعـر بـالـوحـدة . وبالغـربـة . وببعض الضيـاع . والفـراغ . وأراد أن يثير حماسـهم ويحرك اهتمامهم اليه بمزحة أخرى فأخبرهـم أنه قدم موعد عودته . فتهللوا شاكرين لـه حرصه على العودة المبكرة إلى عمله وذلك من أجلهم . وحين تراجع عن مزحتـه أصابهم فتور . فأدرك على الفور أنه لا مكـان له بينهم . وفعلا قرر السفـر قبل انتهاء إجازته ، طـالبوه بمزيـد من المصاريف . وحملـوه قائمة جـديدة من الطلبـات . قبلوه . وتمنـوا له رحلـة سعيدة وركب الطـائرة . وعـاد بذاكـرته إلى مـا قبل الاعارة الميمـونة . قبل أربـع سنوات . كـان يكد ويعمل هـو وجيهان . المرتبات محدودة والمتطلبـات ضخمة . ولكن جيهـان كانـت عظيمة . عاشقـة لزوجهـا وأولادها وبيتها . متفـانية من أجل راحتهم . مـدبرة كأستاذة اقتصاد . ولكن الحياة صعبـة . والاحلام كثيرة . وكلها تدور

حول اشيـاء صغيرة مثل سيـارة وجهاز تكييف وفيـديو واستطـاعة قضـاء أسبوعين فى المصيف كل صيف . وكـانت أحلام الاولاد والبنات أكبر من ذلك . ولكنهم كانـوا يسعدون بالقليل المتـاح من والديهم . لم يفترقـوا يومـا واحـدا . وكـانوا يقلقـون إذا تأخـر فى عملـه . وكانـوا يعترضون لتغيبه يومـا كامـلا ، مثلا كل شهـر لزيـارة أمه . كـانوا يفتقـدونه بشـدة . وكان يفتقدهم بعنف . مـا أن يغادر المنـزل حتى يشعر باللهفة للعودة . وكان أكثر مـا يمتعه اضطجاعه بجانب جيهان كل ليله فى حوار ممتع تتخلله مـداعبات . ولم تكن المداعبات تتطور إلا مرتين كل أسبوع . ولكنهما كانا حريصين على المواقيت دون تخلف .

●●واجهوا مشاكل خاصـة حينما كان يمرض أحد الأبناء . وحين التحقت ليليان بالكلية . ولكنها كـانت مستورة . وكان يستطيع بجهد خارق ان يغطى كل الاحتياجات على المستوى الادنى .

ولكن كـان هنـاك حلم أكبر يـداعبهم جميعـا وهـو حلم الاعـارة . وكانـوا كثيرا ما يضعـون خططا مستقبليـة فى حالـة قبول الـدعوات وتحقق السفر . بعض هذه الخطط كانت معقـولة وبعضـها الآخر كان خرافيـا مغرقـة فى الخيال الـلا محدود مثل شراء قطعـة أرض بالمدن الجديدة واقتناء شقة مطلة على البحر وهكذا ...

●● إلا أنه لابد من القول أنه بالـرغم من الصعوبات الاقتصادية الجمـة التى كانت تـواجههـا هـذه الأسرة فإنها كانت أسرة سعيـدة . وأكبر مظاهر سعـادتهم تماسكهم وترابطهم الشديد وعـدم استطاعة أحدهم ان يتغيب عن الآخرين . حقيقـة أن خلافات كثيرة كانت تنشب بينهم وأحيانـا كان الخصام يمتـد أيامـا إلا أنهم كانوا يعـودون أشد التصـاقا . وبـاختصـار كـانوا يجسـدون المعنى الحقيقى لـلأسرة . والافتراضى الصحيح لمعنى الأسرة هو أن يعيش أفـرادها مع بعضـهم البعض وأن يكونـوا متماسكين مترابطين وباستمـرار ويضمهم مكان واحد ويعيشـون عيشة واحـدة ويواجهـون الحياة معـا . وألا يتغيب

أحد أفرادهـا مدة طويلة لأن هـذا يحدث خللا نفسيا واهتزازا بنـائيا . وأن يتمتع جميع أفـراد الأسرة باهتمام ورعايـة بعضـهم البعض . وأن يفيض الـوالدان على الأبنـاء بالحب وأن يفيض الابنـاء على الوالـدين بـالحب وأن تسـود المودة والـرحمة بين الأم والأب . وأن يـؤدى كل منهما دوره وأن يتحمل مسئـولياتـه . أم وزوجـه . وأب وزوج . وأن تخلى أى منهما عن مسئـولياتـه يحدث نقصـا شـديـدا لا يمكن ان يستطيع الطرف الآخر تعويضه فلا الأم تستطيع أن تقوم بدور الأب ، ولا الأب يستطيع أن يقوم بدور الأم .

●● وهبطت عليهم الاعارة . وظنوا أنها هبطـت من السماء حاملة الخير من أجل تحقيق الخطة الطموح . والحقيقة لا أحد يعرف من أين هبطت بـالضبط . وهذه هى أول فكـرة طرأت على رأسـه المجهد حين وطئت قدمه الطائرة بدايـة للسنة الخامسة . هل كانت الاعارة خيرا أم نقمـة .. ؟ وإن كانت نقمـة فهى بالقطع لم تهبط من السماء . ولكنهـا جاءت من عند الشيطان .

●●وسـافر فى العـام الأول . وواجهت الأسرة صعـوبات نفسيـة وحياتيـة لعدم وجوده . افتقـدت جيهان الزوج . وافتقـد الأبناء الأب . وافتقـد البيـت الـرجل . ولكنهم تحملـوا من أجل الخطـة ومن أجل الأحـلام الصغيرة . ولكن هـذا لا يمنع الخواء الـذى كانت تشعـر بـه جيهان كل ليلـه وهى تمضى إلى الفراش بمفـردها . وفى ليـالى الشتاء كانت تحتاج بشـدة إلى أنفاس زوجها الدافئـة . ولم يكن بد من إحكام الغطاء حـولها . إلا ان ملمس الغطـاء كان يشـوكها مـؤكدا افتقـادها لغطاء زوجها الحانى .

.. وعنـاء النهار كـان مع الأولاد الـذكور والـذين زاد تحديهم لـها واصرارهم على مزيد من الحريات وإهمالهم لدروسـهم .

●●والطامـة الكبرى حين طالبت البنتان بحقـوق اكثر لم يكن فى إمكانها تحقيقهـا . وتفاقمت الصراعات . وعلت الأصـوات . وأجهدوا .

وهددت بأن تخبر أباهم . فتراجعوا . واشتم أبوهم بعض مشاكلهم . فقرر العودة . فاستقاموا تماما . ولكن الحقيقة أنهم لم يتراجعوا ولم يستقيموا ولكنهم عثروا جميعا ــ جيهان وأولادها ـ على الصيغة المناسبة التي تقلل الصراعات إلى الحد الأدنى وبالقدر الذى لا يزعج أباهم لكى يستمر فى اعارته ويستمرواهم فى حياتهم .

●● واعتادوا ان يكونوا بلا أب . مثلما اعتادت جيهان ان تكون بلا زوج . واعتاد البيت أن يكون بلا رجل . أصبح الغطاء يكفى جيهان فى الشتاء . وأصبحت تستغرق فى النوم سريعا بمجرد دخولها الفراش . لم تتنبه أنها تدريجيا تفقد أحاسيس معينة .وكان ضروريا أن تفقد هذه الأحاسيس . بل هى رحمة ربنا أن تفقدها . استمرار هذه الأحاسيس كان سيدفع بها إلى الجنون . بل يجب ان تموت هذه الأحاسيس . إن قوانين العواطف وقوانين الفسيولوجيا تفرض أن ينام الرجل على فراش زوجته كل ليلة . مجرد واجوده بجوارها . وأن تظل جدران الحجرة مشبعة بانفاسه . وأن يتبادلا الكلمات . وأن يتبادلا اللمسات . وأن يتشاجرا ويتصالحا . وأن يضحكا وأن يبكيا . وأن يناما وأن يصحوا . وأن يسمعها كلمات الحب وأن تسمعه . وبين الحين والحين يعاشرها . هذا هو القانون الطبيعى . هذه هى فسيولوجيا الزواج . أى فسيولوجيا العواطف وفسيولوجيا الجسد .

●●وتعانى كل زوجة بشدة من فراق زوجها إلا إذا كانت لا تحبه. وإلا إذا كانت امرأة مسترجلة . أى تفتقد للمشاعر الأثنوية الصحيحة المتكاملة .

●●ولذلك عانت جيهان . ولكنها تحملت وصبرت من أجل الأحلام الصغيرة . ثم تناست . ثم ماتت الأحاسيس . أى اعتادت على عدم وجودها لأنه غير موجود . أى فى النهاية اعتادت على عدم وجوده. وأصبح الفراش لا يتسع إلا لها . ولهذا ضاق عليها الفراش حين عاد فى اجازته الأولى . ضايقتها أنفاسه . ولأول مرة تنتبه لشخيره . ولأول

مرة لا تستجيب أحاسيسها . فكارثة ان تستيقظ هذه الأحاسيس مرة ثانية . فإذا استيقظت فماذا ستفعل ومازال أمامها ثلاث سنوات آخرى .

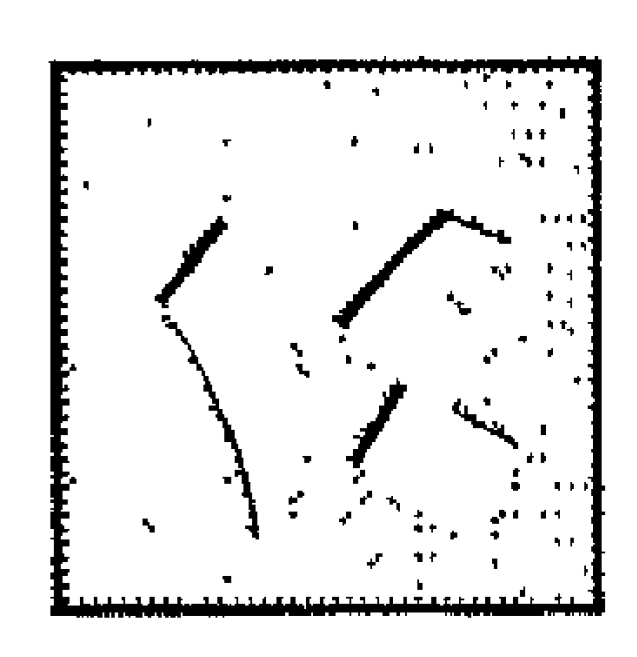
وحين عاد فى اجازته الأولى لم يصدقوا أنفسهم من روعة الأشياء التى جلبها لهم وتمنوها . وكلها انحصرت فى الملابس والأجهزة الحديثة . كانت هذه البداية . وكان الوعد بأشياء أكثر . ولكن لم تتسع حياة الأبناء أيضا لوجود أبيهم . كانوا قد رتبوا حياتهم بدونه . وأصبح دور الأب يضايقهم . فهو يضع حدودا ونظاما ويرعى قانونا . وهم اعتادوا ان يعيشوا بلا حدود وبلا راع . وتحملوا على مضض . كلها أيام ويغادر . وغادر . ثم عاد بعد سنه آخرى . ثم غادر . وأصبحت اجازاته تمثل عبئا عليهم . وصلوا إلى السنه الرابعة وقد تحقق لهم الاستغناء الكامل عن الأب مثلما تحقق لجيهان الاستغناء الكامل عن الزوج . أصبحوا ليسوا فى حاجة إليه كانسان وإنما حاجتهم إليه كانت تدور فقط حول تحقيقهم لطموحاتهم التى نمت واتسعت وتعدت حدود الأحلام البدائية الصغيرة.

ليليان وسوسن كبرتا وكان لابد من التفكير فى زواجهما . وأحمد وطارق كبرا وكان لابد من التفكير فى ايواء كل منهما فى شقة لتستقر حياته . إذن الأحلام اتسعت بشدة . أحلام فوق امكانية الأربع سنوات على تحقيقها . لابد أن يزيد إلى خمس . ثم إلى عشر . ولا مانع من أن تزيد الاعارة إلى أربعين سنه آخرى حتى يمكن استيعاب كل الأحلام الجديدة . وسيجد فى كل يوم حلم جديد . ستتولد امنيات جديدة . والأب قلبه كبير . ولا يريد أن يكسر قلب أحد . يعيش وحيدا . فى عزلة . عزلة نفسيه . عزلة اجتماعية . لا أحد يكلمه ولا يكلم أحدا . لا أصدقاء . فكل انسان منصرف إلى حال سبيله . يحسبها ليل نهار . ماذا كسب . ماذا أنفق . ماذا يشترى . أسعار العملة . أسعاء السوق الحرة . أسعار الشقق . اعلانات الصحف . تحجرت حياته تماما .

فقط ذهنه لا يعمل إلا فى الفلوس . فقد اهتماماته باشياء كثيرة . فقد اهتمامه بالفن . بالقراءة . فقد اهتمامه بتجويد عمله والابداع فيه . فقد احساسه بالجمال . فقد شاعريته ورومانسيته . فقد الأهتمام بكل شىء إلا شيئا واحدا فقط . الفلوس .

وتغيرت ملامحه . وتغيرت طريقته فى الملابس . بل تغيرت نبرات صوته ولهجته وتغيرت حواراته مع اسرته فى التليفون . وتغيرت طبيعة خطاباته . وتغيرت أسرته أيضا . سيطرت لغة المال وكأنهم يعيشون فى بورصة . كل شىء أصبح يقيم بالمال . حتى وجود الزوج الأب بعيدا عنهم أصبح يقيم بالمال .

●● وحين هبطت الطائرة أرض المطار فى رحلة العودة لبدء سنة خامسة تنبه إلى صوت مضيفة الطائرة بالاعلان عن الوصول . ففاضت عيناه بالدموع وأحس بان سقف الطائرة يجثم فوق صدره وغادرها باقدام مثقلة .. ودخل الشقة الصغيرة التى كانت تشع بحرارة جهنم . ولكنه لم يسارع إلى تشغيل أجهزة التكييف فقد كانت جهنم التى بداخله أقوى وأشد . ونام على فراش ساخن يغطيه تراب وأشواك وتمنى الموت . ورأى فى حلم الموت وكأنه يغرق بينما جيهان وليليان وسوسن وطارق وأحمد يقفون على الشاطىء ينظرون إليه بلا مبالاة .



رجل سعيد

اذا أردت أن ترى هذا الرجل فأنــا لا أعرف عنوانه . ولكنى أستطيع أن اصف لك الطـريق اليـه . وأنت قـادم من الـدراسـة فى طـريقك إلى الازهر وقبل ان تصل الى الميدان الكبير الـذى يقع فيه ضريح الحسـين ومن خلفـه حى الجماليـة أنظـر إلى شمالك فسترى جامعـة الأزهـر . هدىء السرعـة قليلاً حتى ترى الباب الـرئيسى للجامعة . فى مـواجـهة هـذا الباب أنظـر إلى اليمين وأقفـز بعينيك فوق الـرصيف ستطـالعك مجموعـة من الدكاكين أسفل بيـوت توشك على الأنهيار ربما عمـرها ألف عام من عمر الأزهر . يتوسط هذه الدكاكين دكان متشح بالسواد (هباب) . أدخل بعينيك هذا الدكان ستجد الرجل . ستتعرف عليه من الوهلة الاولى ، اذ انه اكبر رجل رأيتـه فى حياتك . عمره حوالى التسعين هكذا يبدو من ملامح وجهه ولكن بعد أن تتابعه لثوان قد ترجع عمره

الى الثمانين وربما اقل ولكن ليس اقل من السبعين بأى حال من الاحوال . وان كان يتمتع بحماس وقوه وتدفق وانتصاب هامة رجل فى الاربعين .

●● أنا أعرف هذا الرجل منذ خمسة وعشرين عاما . أراه يوميا . ولكن لم اتبادل معه كلمة واحدة حتى هذه اللحظة . وكان من الممكن ان اقتحمه . ولكن خشيت ان يصدنى . فهو يعمل كل الوقت . ولا ينظر الا الى حيث الاوانى النحاسيه وهو يقبلها فى النار . انه « مبيض نحاس » وانا اتشاءم اذا مررت فى وقتى المعتاد كل يوم ووجدت الدكان مغلقا . واتشاءم اذا مرت العربة بسرعة ولم أتمكن من رؤيته . واتشاءم اكثر اذا وجدت مساعده (ربما ابنه أو حفيده) يقف أمام النار بدلا من الرجل . اصبح جزءا من طمأنينتى النفسية ان أرى هذا الرجل كل يوم تقريبا لمدة ثانية أو ثانيتين ودون ان تلتقى عينانا . وانا لا اعرف اسمه اذ لا توجد اى لافته تعلو الدكان . ولنطلق عليه اسم محمد ليسهل السرد . دعنا نقل عم محمد اكراما لسنه .

●● وأنا استطيع ان اقول ان عم محمد رجل سعيد . بل لا أكون متجاوزا اذا قلت أنه أسعد رجل فى العالم .

● ولما لا يكون سعيدا وهو يصر على العمل حتى هذه السن المتأخرة . كل يوم وبصفة منتظمة من العاشرة صباحا تقريبا وحتى السادسة او السابعة فى المساء حوالى عشر ساعات . واذا مررت فى أى وقت فستجده واقفا منتصب القامة بأكملها محنى الظهر قليلا (امر لا مفر منه) وهو قريب جدا من النار صيفا وشتاء . فى أحوال قليلة جدا ستجده جالسا فوق كرسى صغير قريب من الارض ربما بلا ظهر وامامه ترابيزة صغيرة أكثر انخفاضا من الكرسى وفى يده كوب من الشاى . واجزم انه لولا انه فرغ من عمله لما جلس .

● لماذا لا يكون سعيدا وهو يعمل بجديه . ومن يأخذ عمله بجدية فهو سعيد . ولا شك ان وراء استمراره فى العمل قصة . ربما هو

محتاج لهذا العمل . أى انــه هو العائل الـوحيد لأسرتـه وليس له دخل مادى آخر . ولكن الأجمل ـ وهذا هو مـا اعتقده يقينا ـ انه غير محتاج ولكنه يصر على العمـل . فلا شك ان لـه اولادا واحفادا كثيرين يكفـونه ولكنه لا يريد أن يحتاج لأحـد . ولا تتصور كمية التعب التى يواجهها ويشعـر بها عم محمد . واتحدى ان يستطيـع شاب ان يقف وقفتـه . اذن هـو يعمل ايمانـا منه بأن أى إنسـان يجب ان يعمل . وان يكـون جادا فى عملـه . منتجا . وأن يكسب من عرق جبينـه . وان يلجأ الناس اليه محتاجين لعمله . وان يتقـاضى اجرا على هذا العمل ينفق منه على اسرته . ولا شك انه يجد معنى لهذا العمل . قيمة . لذة . متعة . لا يمكن ان يقف هكذا امـام النار لمدة عشر سـاعات دون أن يكـون هناك دافع قـوى جدا . وايضـا متعة فـائقة . يـالها من سعـادة . يالـه من رجل محظوظ . انه رجل حقيقى . جاد . مسئول . ملتزم .

● وهو رجل سعيد لانه رجل شريـف انه يكسب من عرق جبينه . رزقه حلال . وهذا فى حد ذاته كفيل بـان يجعله رجلا سعيدا . بالرغم انه رجـل فقير . ربما فقير جدا ، هكـذا تدل كل المظـاهر المرتبطـة به . ولكنه سعيـد لانه شريـف . راقبوا أى مليونير أو بليـونير يرتـزق من الحرام .

سرقـة أو رشوة أو نصب أو نهب أو استغـلال نفـوذ . ستجدونـه مضطـربـا قلقـا زائغ العينين مهـدود الـوجـه تعيس الهيئـة بـاهت الضحكة لا تستشف أى نبرة صدق من صـوته . زيف فى زيف . يالـها من تعاسـة .

● وهو رجل سعيد لأنه رجل أمين . أمـانة اداء العمل واتقانه . ولا شك عندى أنه يجد لذة وهـو يؤدى عمله باتقان شديد ويـزهو به وقد عادت الاوانى لامعة ناصعة نظيفـة .و لشرفه وأمانته فكل أهل المنطقة يلجأون اليه . ولابد انهم يدفعون له مـا يطلبه منهم بدون مناقشة اى بدون فصال اولا لانهم يثقون به ، ثانيا لانه رجل جاد وحازم ويعرف

انه يقدم خدمه ممتازة ولـذلك يرفض النقاش فى مثل هذه الأمور . إلا أن أسعـاره تتفـاوت ليس حسـب حجم ونـوع العمـل ولكن حسب الزبون . فهو من أهل الحى منذ سبعين عـاماً أو أكثر . وهو يعرفهم فرداً فـرداً ،ويعرف ظروف كل أسرة . ولذلك ينـزل بأسعاره إلى أدنى حد لهؤلاء الـذين يجدون صعوبة فى الحيـاة . كل رجل شريف سعيد . وكل رجل أمين سعيد .

● وعم محمد رجـل سعيد لأنه رجل محبـوب . وبالـرغم من أننى لم أر فى خلال ربع القـرن صديقاً يجلـس إليه فى دكانـه لأن كل وقته تحمل إلا أننى واثق أن له أصدقاء مقـربين إلى نفسه جداً .وواثق أيضاً من حب كل النـاس لـه : زبـائنه وجيرانـه . حـاول أن تتأمل وجهـه . ستجد رغم الجديـة بشاشة وكأن هنـاك إبتسامة صافيـة على وجهه كل الـوقت . ولأنها إبتسـامة غير معلنـة بـالكامل فهـذا معنـاه أنك تستخلص معنى الأبتسـامة من وجهـه وأن ثمة إحسـاسا فـاض على وجهه نابعاً من داخله . والأصوب أن نقول إن وجهه يشع بالطمأنينه والسلام . هـاتان أرق كلمتـان تصفان وجـه عم محمد . ورغـم تقدم سنـه وفقره وبشـاشته إلا أنك تهابـه . ورغم أنك تهابه فإنك تحبـه . تحبـه بمعنى أنك تطمئن وتستـريح إليـه وتـود أن تتكلم معـه أو حتى تجلس إليـه وهـو صـامت . إن التـواجـد بجـواره يعطى طمأنينـه وسروراً. ولهذا فعم محمد رجل سعيد لأنه محبوب .

● وعم محمـد رجل سعيـد لانـه يحظى بـاحترام وحب زوجتـه . والحقيقة انا لا أعرف اذا كانـت زوجته على قيد الحياة أم لا (أطال الله فى عمـرهـا وعمـره اذا كانت مـوجـودة) . ولكن لـدى احسـاس أنها موجودة . ربما كانت اصغر منـه بعشرة أو عشرين عاما . يعنى عمرها فى الثمانين أو السبعين . ولا شك انهما يعيشـان فى حجـرة او شقـة صغيرة فى حى الجماليـة بعـد رحيل الابنـاء والبنـات كل الى حيـاتـه الخاصة . لا شك ان عم محمد هو سيد بيته . ولا شك ان زوجته تحبه

وتحترمه وتهابه . فهو انسان جاد وحازم وملتزم . وفى نفس الوقت هو انسان ودود بشوش رحيم . وهو انسان شريف وامين وصادق . ولا شك انه رجل كريم . لا يبخل عليها بالمال والعاطفة . وأنا على ثقة تامة انه يؤدى واجباته الزوجية . فمثل هذا النوع من الرجال لا يضعفون . فلأنه مازال يعمل . ولانه مازال متحمسا للحياة فلابد انه يتمتع بقوة . وهو يحب زوجته لانها عاشت معه ما لا يقل عن خمسين عاما . لم تتخلف عن الرقاد بجواره ولا ليلة واحدة . وهو لم يعرف غيرها على الاطلاق رغم ان معظم زبائنه من السيدات والفتيات الصغيرات من ساكنات الازهر والحسين والجمالية واللاتى تراهن فى طريقك يتعثرن بالملاءة اللف التى صممت خصيصا لتكشف عن الانوثة الحقيقية للمرأة المصرية . الا ان عين عم محمد لم تطرف ابدا ونفسه لم تهف اطلاقا لاى واحدة بالرغم من اعجاب بعضهن برجولته التى تتبدى فى صلابته وجديته وبشاشته وطيبته . ان عم محمد يؤدى واجباته كاملة نحو زوجته ويجزل لها العطاء . ورغم انه لم يتعلم الأتيكيت او البروتوكول الا انه يحترم زوجته جدا . يتعامل معها وكأنها ملكة . ولا شك ان هذه السيدة المحظوظة تشعر انها أهم سيدة فى العالم . وهى ترى ان عم محمد هو أهم واعظم رجل فى العالم .

وهى تعرف ان كل قرش يدخل بيتها هو قرش حلال . والزوجة تحترم وتهاب وتعشق الرجل الذى يرتزق من حلال . وانظر الى زوجة اى مليونير او بليونير تعرف ان زوجها يرتزق من حرام . إنه يحظى لديها بعظيم الاحتقار . واذا كانت تحظى ببعض التسيب القيمى الاخلاقى فإن رجلا اخر قد يتسرب الى عقلها ووجدانها . ولكن زوجة عم محمد لم تعرف من الرجال الا زوجها العظيم ولا يمكن ان تفكر فى غيره فهو يملأ عقلها ووجدانها وكل حياتها . كما انها نشأت على خشيه الله وفى بيت متماسك تؤدى فيه كل العبادات وتعلمت احترام

الزوج والاخلاص له من أمها ..

لم لا يكون عم محمد سعيدا وهو ينعم بإخلاص زوجته . الزوجة المخلصة هي أكبر مصادر سعادة الزوج .

● وعم محمد يتمتع بصحة بدنية ونفسية طيبة فمجيئه للدكان صباح كل يوم واستمزاره فى العمل حتى اطراف المساء ووقوفه على قدميه طوال النهار وحركته الدائبة فى اركان الدكان تعنى انه معاف بدنيا . وهو يأتى الى الدكان ويعود الى بيته مترجلا . وهذا الاستمرار على مدى سنوات طويلة يعني انه لم يفقد الحماس قط . وهذا يعنى سلامته نفسيا . ولا شك ان زوجته الطيبة تعد له الطعام الجيد بما يتناسب مع سنه ومع ظروفهما الاقتصادية . ولانها زوجة مريحة وطيبة ومطيعة فهو لا يعانى من أى ضغوط . وبالطبع رجل مثل عم محمد لا يستطع ان يهمل عنصر الترفيه فى حياته . فهو يقوم مع زوجته ببعض الزيارات الاسرية وكذلك زيارة اولياء الله الصالحين وفى ذلك مجلبة للسرور . وفى المناسبات يصعدان إلى الحدائق التى تعلو ربوة الحى . وأحيانا ينفرد هو با لمشى فى ميدان الحسين وقليلا ما يتبادل الحديث مع بعض الأصدقاء يقابلهم فى الطريق وأحيانا يدعونه إلى الشاى فى أحد المقاهى المتناثرة فى الحى القديم وهذا أيضا يجلب له سرورا كثيرا وهو يحب سماع الراديو وخاصة بعد عودته فى المساء وقبل أن يغادر بيته فى الصباح . إنها حياة مليئة بالصحة والنشاط والاستقرار والترويح الذى يجلو النفس . فلماذا لا يكون سعيدا ..

● والمدهش ، والذى يجعلنى متيقنا من السعادة التي ينعم بها عم محمد أنه رجل نظيف . ففي يوم من الأيام رأيته وهو يغادر الدكان بعد أن أنتهى من عمله . وجدته رجلا نظيفا لامعا مختلفا عن الرجل الذى أراه أمام النار ممسكا بالأوانى . فطبيعة عمله تنشر هبابا (اللون الأسود الذى يتراكم بفعل الدخان) فى كل أرجاء الدكان وبالقطع

تشمل وجهه وملابسه . لا شك أنه يغتسل بإهتمام بعد نهاية اليوم الشاق ويلبس جلبابا نظيفا وطاقية بيضاء مزهرة . ولقد لمحت فى قدميه حذاء من الكاوتشوك الأبيض غاية فى النظافة . وأنا فى رأيى الخاص أن الرجل النظيف هو رجل سعيد . فالنظافة هى أحد أوجه الجمال . والذى يشعر بالجمال ويبحث عنه ويحرص عليه هو رجل سعيد . وأيضا هو رجل منظم . أنظر إلى داخل دكانه . المفروض أن يعج بالفوضى . ولكن أبدا . رغم الهباب إلا أن هناك نظاما وترتيبا يعطيان هيبة وإحتراما . فهناك مكان للأوانى التى جاء بها الزبائن توا ومكان آخر للأوانى التى انتهى من تنظيفها وتلميعها بالقصدير . ثم الفرن المكشوف ثم الحوض الملىء بالماء لغسل الأوانى ثم لإطفاء سخونتها بعد بعد وضعها فى النار . وأنظف مكان فى دكان عم محمود هو ذلك الحوض الذى يعلوه صنبور وعليه صابونة حيث يتوضأ ويغتسل إذ كان يؤدى الصلوات الخمس فى مواعيدها . كان هذا هو من أهم الأشياء التى يحرص عليها . نظافة ونظام . أى كل شىء تحت سيطرته . وإذا أردت أن اقحم الطب النفسى فإننى أتصور أن عم محمد شخصيته قهرية أو شخصية وسواسية أى يحب النظافة والنظام والدقة والحرص على المواعيد والأمانة والضمير اليقظ والجدية والصرامة إلى حد عدم المرونة أحيانا . وأيضا الصفاء النفسى والنقاء وإفتراض حسن النية .

● ولا أتصور أن عم محمد سيحتاج إلى خدماتى كطبيب نفسى فى يوم من الأيام . فهو ينعم برضاه الله ومحبته . فهو يحرص على الصلاة . ورغم ضيق ذات اليد فهو متصدق . ويؤدى بالكامل ما عليه من زكاة . ولكنه لم يستطع أن يحج . وهو حريص على صلة الرحم . ويحرص على مودة جيرانه وحسن معاملتهم . وهو دائم الاستغفار واستحضار عظمة الله فى عقله وقلبه . وهو انسان راض . لا يلهث ولا يتكالب يستمتع بالقليل الذى بين يديه ولا يتطلع إلى ما فى يد غيره .

غايـة أمانته ألا يحرمـه الله من صحته ليستمر يعمل . فهـو يجد متعة ولذة حين يتقن عمله . ليشعر بأحاسيس الاكتمال تلك التى نسميها فى علم النفس « تحقيق الذات » هو لا يريد أكثر من ذلك . هو واثق بنفسه مقتنع بأهمية عمله وهو يحب هذا العمل .

● وهو لا يعرف معنى كلمة سعادة . ولم يفكر فى السعـادة أبدا . وهو لا يعرف أن ما يشعر به أسمـه السعادة . غير انه يدرك أنه يكون فى قمة حسن الحال حين يشعر ان بينه وبين الله عمارا . ولا تحاول أن تدقق فى معنى كلمة « عمار » ولا كيف يشعر الانسان أن بينه وبين الله عمارا . هكذا يشعـر عم محمد . وهـو يعرف بمفهـومه الخاص معنى كلمة « عمار » . ويعرف كيف يكون هذا « العمار » بينه وبين ربه .

● إن عم محمـد تنتابه بعـض حالات الضيق أحيـانا وخـاصـة فى الصباح . وفى أحـوال قليلة كـان يجد صعوبة فى الـذهاب إلى دكـانه . ولحرصه على مواعيد الناس وحـاجاتهم كان يجر رجليه جرا . وبحكم خبرتى كنت ألمح ذلك على وجهـه . . وكـان يحزننى أن أراه حـزينـا أو مهموما .

● وأنـا أدعوك ان تـرى عم محمد وخـاصة إذا كنت تمر بطـريق الأزهـــر . ولكن انصحـك بأن تفعل مثلى وتكبـح جماح رغبتك فى أن تقتحمه وتتحدث اليـه . دعه يعمل لأنى أعتقد انه غير مهتـم بالتحدث إلى أحد . ولكن ادع له بـالصحة فهو جزء من مصر . جـزء من التاريخ الذى يعبق به الحى الذى يقع به دكانه . جزء من الشخصية المصرية . الايمان . العمل . الجدية . الاتقان . الشرف . الامانة . الصدق . الحزم . الطيبة . السماحة . الصفاء . الشفافية . النقاء . هو كل مصر ..

●● كم أنت سعيد يا عم محمد .

●● كم أنت غنى يا عم محمد .

رقم الايداع :
٩٤ / ٧٠٨٥
I. S. B. N
977 - 08 - 0220 - 4

طبع بمطابع دار أخبار اليوم


جارليول
كبسولات زيت الثوم النقى
بدون إضافات
لحياة كلها حيوية ونشاط
وخالية من متاعب الكوليسترول
للصغار
والكبار
للرياضيين
فى كل الأعمار
جارليول
لزيادة مناعة الجسم الطبيعية
لزيادة مقاومة الجسم ضد الأمراض
لتنشيط الذهن وتجديد الذاكرة
لزيادة تحمل الجسم للمجهود اليومى الشاق
خُذلك كبسولة
مع تحيات فاركو للأدوية